

صالح مجدى





المقالات الأدبية

للمرحوم السيد صالح مجدى بك

القاضى بمحكمة القاهرة المختلطة

(الطبعة الثانية)

طبعت بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣١٦

هجريه

(بالقسم الأدبى)

(المقدمـــــة)

فى سـنة ١٢٨٧ هجرية كان المرحوم السـيد صالح مجدى بك مأمور إدارة المدارس الملكية المصرية وساعد كثيرا بصحبة غـيره فى إنشاء روضة المدارس المشهورة وقتئذ وقد كتب فيها شيأ عظيما من النثر والنظم ونشر بها فصولا مفيـدة تحت عنوان المقالات الأدبية وما بلغت الثـلاثة عشر حتى قال عنهـا القائل وسمع بها السامع وادّعى مدّع أن بعباراتها الأدبية إشارة وتلميحا الى بعض أحوال ذلك الوقت وتمثيلا بحال بعض سادة ذلك العهد فكان من الامر ما كان ومابه وقف نشر غيرها فوقفت (كما فى الرواية) عند ذلك الحدّ

وقد عوّلنا على إعادة نشرها كتذكار من ثمرات روضـة المدارس وتقـديمها للمتفكهين من أبناء هـذا الزمن (زمن العزيز مليكنا) عصر الشدة على الغافل والناقم ووقت العزة على العامل والعادل وفرصة الجد للمجدّ فى عهد دولة أرجو أن يكون عرشها النور وأساسها العدل وساحتها الحرية فهل لنا فيه من شفيع غير خدمة العلم والادب ؟

بالقاهرة فى ١٢ ربيع الاول سنة ١٣١٦

كاتبـــــه

محمـــد مجـــدى

القاضى بمحكمـة

استئناف

مصر



المرحوم السيد صالح مجدى بك

ترجمة أحوال المرحوم السيد صالح مجدى بك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الواحد الاحد والصلاة والسلام على رسل الله الصمد (أما بعد) فان المرحوم منشئ هذه المقالات هو محمد المشهور بالسيد صالح مجدى بك بن صالح بن أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن الشريف مجد الدين ولد فى منتصف شعبان سنة ١٢٤٢ أو سنة ١٢٤٣ فى أبى رجوان بمديرية الجيزة ودخل مكتب حلوان الاميرى سنة ١٢٥٠ وفى ١٥ صفر سنة ١٢٥٢ انتقل منه الى مدرسة الالسن نظارة المرحوم رفاعة بك وألحق بقلم الترجمة الذى أنشئ بالمدرسة المذكورة سنة ١٢٥٨ وفيه أعطيت له رتبة ملازم ثانى فى أواخر سنة ١٢٥٨ ثم ملازم أول وانتقل بها الى المهندسخانه الخديوية وأحيل عليه تدريس اللغة العربية والفرنساوية وتعريب الكتب الرياضية وقد عرّب منها شيأ كثيرا لم يزل ينتفع به الى الآن ثم ترقى الى يوزباشى سنة ١٢٦٢ ثم تأهل بالسيدة عائشة شريفة الجدين كريمة المرحوم الاستاذ الفاضل السيد أحمد المنزلاوى المتوفى سنة ١٢٥٢ قبل ميلادها وقد ترجم المرحوم مجدى بك عدة كتب فى الرياضيات وألف غيرها ثم فى سنة ١٢٧١ تحول صاحب الترجمة الى ألاى المهندسين والكبورجية

وتعين بوظيفتى باشمترجم ومصحح تعريب الفنون العسكرية وترجم حينئذ جملة مؤلفات مذكورة فى ديوانه الذى طبع سنة ١٣١١ وفى أواخر صفر سنة ١٢٧٢ تعين مأمور أشغال الطوابى بالقلعة السعيدية ثم وكيلا لها مع بقائه فى وظيفة ترجمة الكتب العسكرية ثم انفصل عنها واختص بمباشرة طبع الكتب العسكرية بالمطبعة الاميرية ورقى فى آخر جمادى الثانية سنة ١٢٧٤ الى رتبة البكباشى وفى ليلة ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٧٥ رزق بولده المعروف باسم محمد مجدى بك وهو الآن قاض بمحكمة استئناف مصر وتعين صاحب الترجمة أثناء تلك المدة الاخيرة ناظرا لقلم الترجمة بقلعة الجبل وألغى القلم سنة ١٢٧٧ وبقى مباشرا طبع الكتب العسكرية ولما توفى المرحوم سعيد باشا وتولى بعده الخديوى اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩ وصلته الرتبة الثالثة وتعين بقلم ترجمة بالمعية السنية فى سنة ١٢٨٠ وفى ١٧ رجب سنة ١٢٨١ توفيت زوجته أم ولده السابق الذكر وله فيها مرثية بديعة مطبوعة بديوانه ثم انتقل من المعيـة الى ديوان المعاونة ومنـه الى الداخليـة ومنـه الى ديوان المدارس ثم فى سنة ١٢٨٦ تعين رحمه الله وكيل ادارة المدارس ثم مأمور تلك الادارة ثم فى سنة ١٢٨٨ وصلته الرتبة الثانية ثم فى ١١ شوال سنة ١٢٩٠ انفصل عن ادارة المدارس لالغاء تلك الوظيفة وله عدة مؤلفات وجملة كتب عربها فى مواضع مختلفة وهى متداولة الى الآن ومفصل بيانها بترجمته بالخطط التوفيقية

وبديوانه

وبديوانه رحمه الله وبالجملة فقد خدم العلم كثيرا بقلمه وفكره وهمته ولما اتصلت مؤلفاته وأشعاره الى باى تونس المرحوم محمد الصادق أهداه بنيشانين الواحد بعد الثانى فأهداه صاحب الترجمة بعض كتب من مؤلفاته وتراجمه وله فيه وفى وزرائه قصائد شتى طبع أغلبها بديوانه

ولما تشكلت بمصر المحاكم المختلطة سنة ١٢٩٢ تعين قاضيا فيها بمحكمة القاهرة واستمر بها قائما بمهام وظيفته حائزا الاعتبار أقرانه ومتمتعا بود خلانه الى أن أدركته المنية عقب مرض أعيا الاطباء دواؤه مدة سنتين وصفه رحمه الله وذكر حوادثه فى قصيدة مؤثرة كانت آخر نظمه وطبعت ضمن ديوانه وتوفى رحمه الله ليلة الاربعاء ودفن صباحه فى ١٦ ذى الحجة سنة ١٢٩٨ بمقبرة للعائلة بجهة الشيخ السمان بصحراء الامام الشافعى رضى الله عنه ورحم الله صاحب الترجمة بالرحمة التى وعد بها المؤمنين آمين

(المقالة الاولى)

(الجزاء من جنس العمل)

كان لى جار من الكهول يخلب بسماع أحاديثه العقول فقال لى ذات يوم وقد خلا ناديه من الناس ولم يكن معنا فيه أحد من الجلاس يابنى انه يختلج فى صدرى من منذ أربعين سنة سر ماجرى ذكره فى هذه المدة الطويلة على الالسنة وها أنا عليك الآن أقصه وكما رأيته بأسانيده أنصه فأعر سمعك لمقالى والتقط منه نفيس اللآلى انى دعيت بمجلس أنس الى وليمة عرس . فبادرت بالاجابة عملا بما رواه عن النبى الصحابة فلما دخلت دار العروس عطفوا بى قبل الجلوس على الخوان لتناول ماراج من الطعام مع فتية من الظرفاء وأبناء التجار العظام ثم انتقلت مع هؤلاء الجماعة بعد مضى برهة تنقص عن ساعة الى مجلس سماع الالحان والاغانى المطربة الحسان فلاحت منى التفاتة ذات اليمين فرأيت رجلا منعزلا فى ناحية عن الجالسين وهو قصير القامة دقيق الساقين أشعث أغبر مشوه الخلقة حالك السواد قبيح المنظر محدودب الظهر مرتفع الصدر فقلت لخال الفتاة الذى دعانى الى الوليمة من أين تعرف هذا الرجل صاحب الخلقة الذميمة فقال لى وهو متبسم إن هذا العبوس هو صهرى أبو العروس فقلت تباله مالى أراه وهو رب الفرح غارقا فى بحار

الهم

الهم والترح فقال إنه ورث جميع مافيه عن جده وأبيه وانى سألت عن أطواره وأحواله أحد أقاربه وأمثاله فأخبرنى أنه مادعى فأجاب ولا تكلم فى أى مادّة فأصاب ولا قرع بابه ابن سبيل ولا تصدّق على سائل بالنزر القليل وطالما لهج امام والده فى المحافل مع ماهو عليه من البخل بقول القائل

هبك عمرت عمر عشرين نسرا * أترى أننى أعيش وتبقى
ولئن عشت بعد موتك يوما * لأشقن جيب مالك شقا

وهو وان كان والد ربة الزفاف وبعل أمها شقيقتى بلا خلاف فانه ماحضرها فى عقد نكاح ولاقام لها بأداء واجب ولامندوب ولامباح ولا سعى بدعوته الى داره أحد لعدم وقوفه فى شحه عند حد وما أظن أنه بش فى وجه صهره وهو ابن أخيه الذى مابنى بابنته لرغبته فيه بل لطمع فى الاستحواذ على ماله من بعده عقب حلوله عما قليل بلحده لانه عار عن حلل المروّة مجرّد عن حلية الانسانية والفتوّة تارك للفروض والمسنون متقلب فى أودية السخف والجنون مشغوف بالاباطيل آخذ فى الاضاليل ماانبعث شعاع عقله لشئ سوى العبث ولاشيع هالكا الى جدث وهو حائر فى أمره نابذ لمكارم الاخلاق وراء ظهره وقيل إنه قصد الاقطار الحجازية للتجارة فى سنة من السنين لا للحج والزيارة وكان ذلك غبّ قدومه من العراق بكثير من الجمال والنياق فقالت له أمه خذنى معك الى

بيت الله الحرام لأقضي فريضة الحج في هذا العام فأجابها الى سؤالها بشرط أن تكون نفقتها على نفسها من مالها فلما توسطت الدرب في السير مع الركب سقطت من تحتها الراحلة وكادت تفوتها القافلة فمشت على قدميها حتى كلت وضعفت قواها واضمحلت وولدها لا يلتفت اليها ولا تأخذه رأفة بها ولا شفقة عليها فقالت له وقد وقفت من شدة التعب عن المسير وامتد اليه طرفها فارتد وهو حسير يابني احملني على واحدة من هذه الدواب لتفوز في غد بجزيل الثواب ولا تتركني في هذه الفدافد الشاسعة والدروب والعقبات الوعرة غير الواسعة فأموت بالظمأ والسغب أو أقع في قبضة أحد من العرب أو تفترسني الوحوش الكواسر وأنت على خلاصي من هذه التهلكة قادر فقال وقد نسي مالها عليه من الحقوق مبارزا لها بالعقوق هيهات هيهات أن يستوي على قتب سوى من يبذل الفضة والذهب فأنقديني خمسين من الدراهم التي هي لجروح أمثالي كالمراهم حتى أسمح لك براحلة سريعة الحركة لا يلحق غبارها سليك بن السلكة فقالت له يابني إني حملتك تسعة أشهر في بطني فلا تخيب فيك ظني وتذكر قول الرحيم الرحمن في كتابه المنزل على سيد ولد عدنان وبالوالدين احسانا لتزداد يقينا وايمانا فقال لها ولم يزدد الا جحودا وقسوة وحنقا ونفورا ونبوه لا سبيل لك بغير المنقوشة الى بلوغ المرام فاقطعي حبال الرجاء واذهبي

عني

عنى بسلام وكان بازائهما من يسمع مادار بينهما من المقال فتى قد توفرت فيه شروط السماحة والوجاهة والكمال فقال لها اركبي يا أماه على هذه الراحلة فأنت سميرة والدتى فى القافلة ثم نظر الى هذا المهين نظرة الغضب وعبس فى وجهه وقطب وقال بعد ان قرعه بالعصا ورجمه بالحصا يا قذى جفن الدين وبلاء نفوس المهتدين أما علمت أن الجنة تحت أقدام الامهات وبطاعة الوالدين يفوز الولد بأقصى الدرجات لك الويل إن الشقاوة غلبت عليك وقادك العقوق الى النار برجليك ثم خلى سبيله وانصرف وهو على عدم قتله فى غاية الاسف وبالجملة فأخبار هذا السفيه المفند فى مثل هذه الرذائل لاتعد ثم ضرب صفحا عن ذكره بعد أن لعنه فى علانيته وسره ولازلنا نخوض فى حديث بعد حديث ونحن ساخطون على هذا الرجل الخبيث حتى عول الحاضرون على الرواح وكان أكثر الليل قد مضى ودنا الصباح فانتصبت عند انفضاض الناس للوداع وكان غيرى قد فاز بلذة السماع وقلت لغلامى يا ابن شكلة هيئ لى على الفور البغلة فقال انى تركتها فى الدار مع الجواد والحمار هنالك انتهز صاحبى الفرصة وقال إنه لم يبق من الليل الاحصة فاقبل منى النصيحة واسترح فى هذه القاعة الفسيحة وكنت لطول السهر قد اعترانى بعض فتور وخدر فلم أخالفه فيما به أشار لبعد المنزل واقتراب النهار بل أجبت بالطاعة وتبعته الى القاعة

وبعد أن اضطجعت فيها على سرير ودعني وعدل الى بعض المقاصير واذ كنت بين اليقظان والنائم في تلك القاعة الخالية من النائم اذ سمعت من بعيد صلصلة حديد فطار عن جفني الوسن واقشعر مني البدن وتلوت وقد أعياني الارق قل أعوذ برب الفلق وبينما أنا من الفزع في اضطراب اذ أبصرت معي شبحا من داخل الباب فتأملته وقد استولى على قلبي الرعب وخفق وكدت أموت من شدة الفرق فاذا هو رجل طويل القامة قصير اليدين كبير الهامة عاري الجسد أصلع الرأس يلوح عليه مع شيخوخته أنه شديد البأس فقويت جاشي وثبت الجنان وقلت له أمن الانس أنت أم من الجان فصاح صيحة كأنها الرعد في خلال الغمام وتنهد تنهد الواله المستهام ثم قال بعد هذه الضجة قد مرّ بي عشرون حجة ماطرق سمعي حديث بشر ولا وقعت عيني على أنثى ولاذكر فما هذه الاغاني والاصوات والالحان الموسيقية المطربات التي شنفت المسامع وما هذه الشموع التي أضاءت بها جميع المواضع فقلت مجيبا له وقد سكن روعي وتماسكت بعض التماسك ضلوعي ان رب هذه الدار أنكح ابن أخيه ابنته نوار فصرخ صرخة هائلة وسقط على الارض وقد كاد مما حل به من التشنجات يختلط طوله في العرض فلما أفاق من غشيته ورجع اليه بعض قوته قال اللهم اجعل هذه الوليدة

برة

برة بوالدتها سعيدة ولا تجعلها كأبيها الشقى المحروم من رحمة الحى القيوم فقلت له من أنت يا أبتاه ومن أين أقبلت يرحمك الله وما هذا الحديد الذى حمله أعيالك وأودى بك الى هذه الحالة فى دنيالك فجثا على ركبتيه وبسط راحتيه وقال بعد تضرع وابتهال وطلب الغفران من ذى الجلال انى والد هذا الجبان الخائن عدو نفسه المهان المائن وانى أقبلت عليك من طبقة فى الارض تحت قدميك طرحنى فيها هذا الوغد العنيد بعد أن كبلنى كما ترى بالحديد ولعل الباعث له على ذلك والله أعلم عما هنالك هو أنه زار فى بعض الأيام ثلاثة أخوة من اللئام وكان أبوهم هلك عن تركة جسيمة وأموال عظيمة القيمة فلما اقتسموها وهو اليهم ناظر تكدر منه على عدم موتى الخاطر ودخل علىّ فى بعض الليال ومعه أربعة متنكرون من الرجال فوضع فى رجلى هذا القيد الثقيل وحبسنى فى هذه الطبقة عن الصاحب والخليل وأشاع أنى شربت كأس المنون وبكى واستبكى علىّ العيون

تنكرنى دهرى ولم يدر أننى * أعزّ وأحداث الزمان تهون
فبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

وقد لبثت فى السجن عشرين من الاعوام لايزورنى فيها من الناس شيخ ولاغلام ولا أتغذى فى الليل والنهار الا بشربة ماء ورغيف من الكشكار تدفعهما الىّ فى كل صباح عجوز

اسمها كفاح ثم تغلق على باب الطبقة ولا تأخذها بى شفقة
وقد غفلت فى يوم هذه الوليمة عن الباب فتركته وانسابت
كأنها الحباب فى الحباب فلما خفقت الاصوات وانقطع
حس الآلات خرجت لاستنشاق النسيم فاجتمعت بك فى هذا
الليل البهيم ثم انه استعد للانصراف الى حبسه وهو ساخط
على يومه راض عن أمسه فقلت له الى أين وقد فرج عنك
الكرب ونجوت وزال عنك الخطب وتخلصت من الطبقة
والتصفيد وبلغت بمنه تعالى فوق ماتريد فقال ودمعه فى
انهمال ونيران جواه فى اشتعال يابنى جزيت عنى خيرا
ولا لقيت من زمانك ضيرا كيف السبيل الى الخلاص وليس
لى عن السجن مناص وكيف أرمى ولدى باتباعك فى مهاوى
الفضيحة وأكشف الغطاء عن أفعاله القبيحة وان أجلى قد
أخذ فى الاقتراب وشمس حياتى قد توارت بالحجاب فقلت له
لاتخش على ولدك من الفضائح العار فان لى التزاما بعيد المزار
أسيرك اليه فى غد بحيث لايشعر بك أحد فقال لى لاسبيل
الى ماجنحت اليه لان ذمتى لاتطاوعنى عليه فقلت له ان
أبيت الا الاصرار على الاقامة فى غيابة الجب الى يوم القيامة
فانا أسعى فى خلاصك منه بالقوة القهرية وأفضح ولدك بين
البرية فقال لى يابنى سر على مهل ولا تعجل فالجزاء من جنس
العمل وكما يدين الفتى يدان وانى مستحق لهذه العقوبة من قديم
الزمان

الزمان فانى قتلت والدى فى حب المال وجرعته بيدى كأس الوبال وهذه آثار دمه على الجدار تشهد علىّ بأنى رميته بسهام البوار فلما عرفت حقيقة الخبر ووقفت على جلية الاثر تبين لى أن الوالد أشقى من الولد وأن عذابه فى الآخرة أشد وكان الليل قد أدبر والصبح قد أسفر فانطلق وهو أبغض الخلق من قاتل ابن جبير ولسان حالى يتمثل فيه بقول البهاء زهير

بحق الله متعنى * سريعا منك بالبعد
فلا تصلح للهزل * ولا تصلح للجد
فلا صبحت بالخير * ولا مسيت بالسعد

فكان آخر عهدى بهذا الجار أول انقطاعى عن سماع مثل هذه الاخبار فخرجت من داره عازما على عدم ازدياره قائلا فى نفسى لاراد لما قضاه الله وأراده راجيا منه سبحانه أن يختم لنا بالحسنى وزياده

(المقالة الثانية)

(فى التصريح بحميد الاخلاق والتلويح بالتوبة عن) (الاعتراض على الرزاق)

دخل رجل من سكان الاطراف ذات يوم مدينة بديعة الاوصاف وطاف بشوارعها المنيفة وأزقتها المرونقة اللطيفة وأسواقها النفيسة الامتعة وخاناتها ذات الاقمشة الثمينة والحلل

المرصعة فرأى فى أثناء طوافه بهذه الأماكن المزخرفة الحوانيت والمساكن جما غفيرا من ذوى الثروة واليسار والأبهة والرفاهية والاعتبار والنعم الوافرة والخيرات المتكاثرة وكان عليه أطمار بالية ولم تكن عيشته حالية فترك المدينة وانتجع الجبل وقلبه بنيران الاعتراض على رازقه اشتعل فلما خلا بنفسه تمنى موته وحلوله برمسه ولكراهته فى البقاء واعتقاده أنه خص من بين الناس بالشقاء خلع جلابيبه وقذف بها الى السما وضل عن طريق الهدى واستحب العمى وتمادى على القذف بها الى الجو وهى تسقط عليه وتنجذب فى أقل من لمح البصر اليه ومابرح عاكفا على هذا العمل حتى وهت قواه وضعف جسمه وكل واحتاج الى الراحة فجلس على الارض وهو على غاية من الغضب والنكد وكان بالقرب منه أجمة فيها أسد قد خرج من عرينه للاصطياد والفتك بكل حيوان صعب الانقياد فلما وقعت عينه على هذا المعترض المخالف لم يصرفه عن الحملة عليه صارف فزمجر زمجرة الرعد وأيقن بنيل المنى وبلوغ القصد فأقبل عليه بأظافر كالخناجر وكشر عن أنياب كالسيوف البواتر وكاد يبدد منه أمعاه ويريحه من الاعتراض على مولاه هنالك ضاقت به الحيل وانقطع منه الامل وتحقق أن القضاء به نزل وانطوى من حياته سجل الاجل فاسترجع وحوقل وتاب من ذنبه وعلى الله توكل

توكل وأخلص النية وأقبل على التضرع بحسن طويه وبينما هو متقلب فى أودية الدهشة والحيرة مترقب هلاكه وضيره اذ ظهر له وهو فى أثناء الخطر فارس على فرس محجل أغر لايلحق منه الغبار ولايجول سواه معه فى مضمار وكان هذا الفارس شديد الباس وافر العزم قوى المراس فعطف بلامهل على أسامة بشهامة تامة وصرامة وخفف ماعليه من اللباس وألقى مابيده من السلاح وهجم عليه وهو من نفسه واثق بالنجاح ولكمه بيده على أنفه لكمة هائلة ساقه بها الى حتفه وباقدام هذا الهمام المنيع تخلص الرجل من الموت المقتضب السريع ثم وقف على مصرع أبى الحارث وأنشد وهو منه فى الكفاح أقوى وأشد

عرّضت نفسك للاخطار معتمدا * على وثوقك فى الاقدام بالظفر
ولو علمت بما لاقى سواك لها * مشيت وحدك فى البيدا بلا خفر

ولما نجا هذا البائس على يديه دنا منه وانكب على قدميه فانحنى عليه ومن الارض أقامه وقبله بين عينيه وهنأه بالسلامه وبينما هو يسأله عن سبب تجرده عن الثياب ووجوده فى هذا القفر الخراب وهو يجيبه عما دار فى خلده من الوسواس من اعتراضه على رب الناس ويخبره أنه الى الله تاب وأقلع عن ذنبه واليه أناب اذ خرجت عليهما قطاع الطريق من كمين فى درب داخله مضيق فقال له لاتخف ولاتحزن وقف مكانك

والى الفرار لاتركن ثم وثب على صهوة جواده الادهم وامتشق سيفه وعليهم أقدم وهو يقول وقد اعتراهم من حملته الذهول

أنا الهمام الذى فى كل معترك * سيفى يقرب من أخصامى الاجلا

فلو تمثلت فى الهيجا لعنترة * لفر عن جنده رغبا وماوألا

ولو زحفت الى الابطال منفردا * لانفل جمعهم من قبل أن أصلا

ولما انكشف عنه الغبار بعد ساعة وقد قتل عشرة من الجماعة ولم ينج من سيفه الماحق سوى من كان تحته جواد سابق كر راجعا الى صاحبه كالقشم وهو بهذين البيتين يترنم

والنصر من تحت أعلامى وبين يدى * بالامن يسعى الى من قد أبيح دمه

ولو تمثل لى شخص الزمان وفى * كفى حسام لزلت فى الوغى قدمه

وعند ماقرب منه سارع الى ملاقاة جنابه ليحظى بلثم قدمه فى ركابه وأطلق لسانه بشكره وأثنى عليه فى سره وجهره وكان الفارس قد جمع الاسلاب بعد أن فرق الاحزاب وهمّ يدفعها الى صاحبه لتذهب عنه بالفقر وغياهبه وقال له اقبل هذا النزر اليسير واعذرنى فى التقصير وان شئت فسر معى الى الاوطان حتى تكون آمنا فى ذمامى من حوادث الازمان فقال له وقد اتسع صدره وانشرح ولاحت عليه بشائر السرور والفرح ان مفارقة الارواح للاشباح أهون علىّ من فراقك يافارس البطاح وكيف أقدر على ذلك وقد دفعت عنى المهالك وغمرتنى بالاحسان بعد أن بدلت خوفى بالامان فاسمح لى بخدمتك

بخدمتك لأعيش فى نعمتك فأجاب الى ماطلب وبلغه بمرافقته الارب والفارس المذكور هو من نسل معن بن زائدة المشهور وهو فى السماحة آية وفى الجود غاية وفى الحلم لايجارى وفى العلم والرواية لايبارى وفى الشعر حسان وفى البلاغة سحبان وله دراية تامة بالاخبار ومعرفة كاملة بالآثار وهو أول مبادر الى سماع النوادر قيل انه خرج غير مرة من جميع ماله بدون احتياج أحد من الناس الى سؤاله ولطالما كان يترنم فى المحافل بقول القائل

المال ينفد والثناء يخلد * والجود فى كل المواطن يحمد
وأخو السماحة فى البلاد جميعها * بين العباد على الدوام مسود

ونقل عنه صاحبه الذى فاز منه بالذمام واستغرق فى خدمته عدة من الشهور والاعوام أنهم دخلوا عليه فى ناديه بمغلول وقتيل على الاعناق محمول وقيل له إن ابن أخيك قتل ابنك عمدا بلا شريك فأمر باطلاقه من حبال وثاقه وقال له وقد عافاه من القصاص ومن عليه بالخلاص

قتلت أخا كريما كان عونا * على الاعداء فى يوم الكفاح
وبالاثم ارتديت ولست تدرى * بأنك صرت مقصوص الجناح

ثم أقبل بوجهه عليه وأبدى له من الابتسام مادفع عنه كل ما هجس بخاطره من توقع الانتقام ولخوفه عليه من غائلة أتباعه بعث به فى أمان الى بعض أقطاعه ولعمرك هذا هو الجود الذى

أنسى بجود حاتم والحلم الذى محا من الصحف حلم قيس بن عاصم وزاره فى داره ذات يوم جماعة من الافاضل ممن تحلى بمعارفهم أجياد المحافل فتجاذب معهم أطراف الرواية وأظهر كل منهم فيها ما عنده من الدراية وقام وتكلم فأحسن وتنوع فيما أبداه وتفنن وأطلق لجواد فكره فى هذا المضمار العنان ففاز بالسبق وحاز قصب الرهان ولا زال فى هذا المبحث الطويل ينتقل من الجمل الى التفاصيل حتى قال فى حقه من يعوّل على صدقه

لله درك مــــن إمام ماله * بين البرية فى الرواية ثانى
كم من مخبأة كشفت لنا الغطا * عنها بأعذب منطق و بيان

ومن محاسن شعره الذى سارت به الركبان وأضاءت بدور معانيه فى خدور مبانيه الاكوان ما رواه عنه أبناء الادب واستملاه نبلاء العجم والعرب حين قال فى خطابه لابن ودّه وقد أصمى فؤاده بسهام صدّه

حسبى بحبك فى الغرام نحولا * ومدامعا فوق الخدود سيولا
سل عن ليال بالجوى قضيتها * وقد اتخذت بها السهاد خليلا
نعم السهاد فلو ألمّ بى الكرى * لرأيت من طيف الخيال عذولا

وقوله لنديمه فى مجلس انشراح طاب فيه تناول الروح

هاتها يانديم من خــــدّ أهيف * سيف لحظيه فى المضارب مرهف
عاطنيها ممزوجــــــة برضاب * طاب لى منه فى الصبابة مرشف

وقوله لمليحة اسمها حياة الانفس وقد خطرت بين يديه فى حلة من سندس ملثمت

ماشت بحبك يا حياة الانفس * كل القلوب عرفت أم لم تعرفى
وعلى هواك وقفت روحى فاسمحى * بقبولها منى ولا تتوقفى

ونقل عن صاحبه الذى اتسعت دائرة أرزاقه عند اختصاصه به وتخلقه بأخلاقه أنه حضره فى يوم افتخر فيه بالبلاغة كل حكيم وامتاز فيه بالفصاحة كل عليم فقام على قدميه وابتكر خطبة لم ينسج على منوالها ولم يأت قبله أحد بمثالها فلم يبق أحد من فصحاء تهامة الا أذعن له بالزعامة وهو جدير بما قال فيه بعض واصفيه

قس الفصاحة فى زمانك أبكم * ولأنت منه بكل شئ أعلم
ولديك سحبان البلاغة أخرس * مع أنه فى عصره متكلم

وقد ضربت الامثال بصدقه فى الاخبار واعترف له به العلماء والاحبار وقام الدليل والبرهان على أنه أوحد الزمان

هو الثقة الذى نسعى اليه * لنأخذ عنه أخبار الاوائل
هو البحر الذى فى كل فن * يحل بفكره صعب المسائل

ولقد سأله أحد جلسائه عن تاريخ بعض الممالك المشهورة وعن مبانى البرابى والاهرام التى هى من الآثار المأثورة فأجاب عما أراد بأوضح اشارة وأرشده الى الصواب بأفصح عبارة وأماط القناع عن وجه أشرف البقاع وبسط الكلام على ما كانت مصر عليه من الاحوال الظاهرة والباطنة فى عهد ملوكها الاولين من الفراعنة ونوه بما وقع فيها من كشسيد وباقى الاكاسرة ونبه على حوادث

البطالسة والقياصرة وقص أثر فتوحها بالاسلام وانتزاعها من قبضة الاروام وكان ذلك فى محفل حافل حضره جم غفير من الافاضل وقد قام من بينهم شيخ كبير بدقائق علم التاريخ خبير فقال مخاطبا له بأشرف المعانى وألطف الالفاظ والمبانى

تاريخ آدم والدنيـا بأجمعها * لولاك مازاد ايضاحا ولا ظهرا
لازلت تبدى بما أوتيت من حكم * فى كل مافيه نفع للورى أثرا

ووفد عليه وهو بمدينة بغداد درويش من الامجاد فغمره ببحار المواهب ورفع قدره بين ذوى المراتب وكان هذا الدرويش خزانة نوادر وكنانة نكات تهيم بسماعها الاكابر فقال له رجل من ندماء الفارس اسمه كميت حدثنا بأحسن مارأيت فقال الدرويش صاحب المخترعات المشكورة والمبتدعات الحسنة المشهورة انى مررت فى سياحتى بخراسان على قرية كانت لبنى ساسان فرأيت بظاهرها شيخا محلوق اللحية عارى الجسد وشيخة فى عينها اليسرى رمد وهى كالتى قال فى حقها الواحد الاحد (وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) فقلت له ما اسمك وما اسم هذه القرية بين القرى وما هى هذه الشيخة التى مثلها فى النساء لايرى فقال له أما أنا فاسمى أبو الغواية ضلال وأما القرية فاسمها فى الكتب القديمة ملال وأما الشيخة فهى زوجة الشيخ جابر امام زاوية أيوب بن صابر وانه عازم على فراقها لشراسة أخلاقها وعدم وفاقها وانها بالامس قرعت بابى

ورفعت

ورفعت قضيتها الى جنابي وسأنظر اليها وأقضي بالحق لها أو عليها فقلت له ماهي وظيفتك ياأبا غوايه وكيف تقضي ولست بقاضي الولايه فقال اعلم أني أنا نائب هذا البلد واني أحفظ من القرآن الفاتحة وقل هو الله أحد فقلت له اذا كنت كذلك ياجاحظي السحنه فمالي أراك مخالفا للكتاب والسنه فقال انهم قلدوني نيابة القضاء بهذا الشرط وأغضوا عما يفرط مني من الخلط وأخذوا علي بذلك العهود فما أخرج عن هذه الحدود فقلت له بقي عليك شيء لابد منه وأمر مهم لابد عنه وهو أنك تجب نفسك بيدك وتخلع زوجتك على ولدك حتى اذا انفصلت روحك الخبيثة عن بدنك ودرجت الى حفرتك بعد اندراجك في كفنك سحبوك على وجهك الى الجحيم وطرحوك في نار العذاب الاليم فوقعت هذه النصيحة عند الشيخ الخرفان موقع القبول والاستحسان وأجاب الى مادعوته اليه وامتثل وقصد حانوت الحلاق ليبت ما أمر به بلا مهل وقال وهو متأهب للقيام عدحني بهذا الكلام

لك الثناء على نصح أعيش به * بين العباد جليل القدر في بلدي
لاسيما بعد فقد الانثيين ومن * بعد التخلص من أهلي ومن ولدي

قال الكميت فلما سمعنا أعجوبة هذا الدرويش قلنا كم يشاهد من عجائب الدنيا من يعيش

(المقالة الثالثة)

(فى اليسر بعد العسر)

حدّثنى مبارك الطلعة الصديق الثقه فى ليلة أنس كانت بالبدر المنير مشرقه أنه نشأ بمدينة سان فيما سلف من الزمان أخوان يتيمان توفى أبوهما وهما صبيان وماتت أمهما بعده بعام وتركتهما بلا زاد ولا حطام فالجأتهما ضرورة القوت تارة الى خدمة ذوى البيوت وطورا الى الكدّ فى العمل من غير كسل مع سدّ الرمق بكل ما حصل وتماديا على مزاولة هذه المشاق التى ضاق بها منهما الخناق حتى جمع كل واحد منهما بعد أن بلغا أشدهما مقدارا من الدراهم المعدوده والنقود المدّخرة المرصوده فاتفقا على التأهل بشقيقتين شريفتين عفيفتين واشتغل منهما الفكر بذلك فى الجهر والسر وسمع بخبرهما بعض اللصوص فصرف عزيمته اليهما بالخصوص وانقض على مأواهما فى ليلة حالكة السواد وقد غرقا فى بحر الكرى بعد طول السهاد فسرق المال وطار قبل أن يفضحه ضوء النهار واستيقظا من الرقاد وشغفهما الى الزواج فى ازدياد ولم يعلما بذهاب الاثر والعين ولا بانتهاب النضار واللجين فقال أحدهما للآخر بالمال يتخذ الانسان سلما ويصعد به متى أراد الى السما ونحن بما عندنا من النقد

النقد نفوز على رغم الحسود بالقصد فابعثنى الى أىّ خاطب إن رمت نيل المطالب فقال له وقد لاحت منه التفاتة الى باب الخزانه التى كانت بالامس محتوية على الامانه مالى أرى عقب هـذا الباب قد انصدع وقفله انفصل عنه ووقع وفى الحال أخذ بيده وقصده وبحث عن المال فما وجده

لله أشكو من زمان ساءنى * وعلىّ غارات المصائب شنها
وسرت الى قلبى هموم غمومه * وسيوفه لقتال صبرى سنها

فطفقت أنشد والخطوب تنوشنى صبت علىّ مصائب لوانها(١) هنالك أرسلا من أعينهما أدمعا وتأسفا على ضياع دراهمهما وتوجعا وتمثلا فى هذه الحال بقول من قال

مال كأن غراب البين يرقبه * فكلما قيل هـذا مجتمع نعبا

ثم أجمعا أمرهما على مفارقة الاوطان لبلوغ الاوطار وقد هان عليهما فى طلب الرزق ركوب الاخطار وقال أكبرهما اللبيب مخاطبا لاخيه الاريب ومسليا له على نوائب الازمان والنزوح بغير اختيار عن الاوطان

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد
فان قيل فى الاسفار ذل ومحنة * وقطع فياف وارتكاب شدائد
فموت الفتى خير له من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

(١) (تمام البيت) (صبت على الايام عدن لياليا)

هذا وقد جدا فى التقلب من واد الى واد والتنقل فى النجائد والوهاد وصبرا على هذا المصاب صبر من استسهل الصعاب وتأسيا فى هذا الخطب النازل بما قال القائل

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى * فما انقادت الآمال الا لصابر

ويقول من يرجو بصبره بلوغ المآرب ويترقب حسن العواقب

الصبر مثل اسمه مر مذاقته * لكن عواقبه أحلى من العسل

ويقول من ضاقت عليه المذاهب ورماه الزمان من كنانة غدره بنبال النوائب

صبرا على نوب الزمان فانها * مخلوقـــــة لنكاية الاحرار
لايخسف النجم الضعيف وانما * يسرى الخسوف لرفعة الاقمار

فكانا تارة عدان أيديهما للسؤال فى الظلمات وآونة يحتطبان فى ضياء النهار من الأجمات ومرة ينخرطان فى سلك العمله ويقتديان فى نقل الجير والطين بالفعله وأخرى يخفران الحوانيت بالليل ويحرسان فى الغياض المواشى والخيل وكلما ضجر أحدهما من الاغتراب قال له أخوه بأعذب خطاب يا ابن أمى إن لسان الفرج يناجى صبرا صبرا فان الفرج يفاجى ويخفف عنه بلواه بقول القائل رحمه الله

خفّض عليك ولا تكن قلق الحشى * مما يكون وعله وعساه
فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك تكفى شر ما تخشاه

وقد عكفا على مثل هذه الاعمال مترقبين من دهرهما صلاح الاحوال

الاحوال مدة سبعة أعوام وسنة وستة أشهر وخمسة أيام حتى تحصلا فى خلال هذه المده على مقدار لايزيد على المسروق فى العده فتداولا فى العودة الى الاوطان التى حبها من الايمان

بلادى وان جارت علىّ عزيزة * ولو أننى أعرى بها وأجوع
ولى كف ضرغام اذا مابسطتها * بها أشترى يوم الوغى وأبيع

ثم ترقبا للسفر يوما ليس فيه مطر وهمّ الجيران والامثال يمنعهما عن الترحال فقال أحدهما مشيرا بيده اليهم وشاكرا لهم ومثنيا عليهم

لو كان قلبى معى مااختار غيركم * ولاأردت سواكم فى الهوى بدلا
لكنه راغب فيمن يعذبه * فليس يقبل لا قولا ولا عملا

وتفرغا للمناقشة فى هذا الصدد وسرعة الانقلاب الى البلد والعزيمة على التأهيل باثنتين من الابكار أومن الثيبات المصونات الاحرار وبعد أن طال فى ذلك بينهما الجدال انحط رأيهما على الارتحال فوجها وجهيهما الى البحر وكان بينهما وبينه مسيرة ميل فى البر فقطعاه على أقدامهما بلا مهل ولحقا بالموردة على عجل وكان لسان الحال ينشدهما عند ذلك من أبكار أفكار حبيب هذا المعنى الفائق الرائق الغريب

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاوّل
كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاوّل منزل

وبمجرّد وصولهما الى الساحل المشحون بالمراكب والزوارق

والصنادل نزلا سريعا مع الركاب في زورق متأهب للذهاب وقالا وقد رفع الشراع بعد الاشارة بالوداع

ودعتهـــم ودموعى * على الخـدود عزار
فاستكثروا دمع عيني * لما استقلوا وساروا

فلما انساب هذا الزورق انسياب الارقم بريح طيبة في لجة البحر الاعظم صار يقتحم الموج ويمر من فوقه مر السحاب ويتجنب في طريق سيره ماارتفع من الشعاب حتى اذا قطع مسافة يومين تكدر صفاء الجو واختلفت الرياح وأظلمت السماء وتحدر النو وانكسرت الدفة وتقطعت الحبال وأقبلت الامواج من كل جهة كالجبال واختفى عن أعين الملاحين أثر المسالك وتحقق الوقوع في مهاوى المهالك وعظم الخطب واشتد الكرب وعلا النحيب والصياح وكثر العويل والنواح وتوالت المصايب وزحفت جنود الاخطار من كل جانب واستغاث الركاب برب الارباب وبسط الربان راحة الضراعه والابتهال بالدعاء وأمنت الجماعه

ياخالق الخلق يارب العباد ويا * من قلت في محكم التنزيل أدعونى
انى دعوتك مضطرا نخذ بيدى * ياجامع الامر بين الكاف والنون

واذ كان لادافع لسهام القضاء والقدر ولا مانع لما تحتم وقوعه من الضرر اضطرب الزورق ودار وانحدر على الفور الى القرار وجميع من فيه من الناس هلك وصار طعاما للسمك

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الاسباب والموت واحد

ولم

ولم ينج من هذا السفر المنحوس بعد فقد المنقوش والملبوس سوى الاخوين حيث ظفر كل منهما بلوح فركبه وانطرح عليه من شدة التعب كالخشبه وترك نفسه عليه لمشيئة الاقدار وكان البحر قد سكن وارتفعت الامطار فاستقام به فى السير واعتدل وقرب به من البر واليه وصل

أروم الصفا والقرب من جيرة المسعى * وأجعل أجفانى لاقدامهم مسعى
فوادى الغضا فى مهجتى وأضالعى * هى المنحنى والعين أرسلت الدمعا
ألا يا حمام الايك هيجت لوعتى * الى جانب الجرعا ومن حل بالجرعا
بلاد على أفق السماء محلها * أحن اليها والذى أخرج المرعى

فتعانقا عناق الالف للام وأفرطا على الدهر فى الملام

لا تأمن الدهر فى كل الامور ولا * تعتب عليه اذا ما خان أو غدرا
فانه لم يزل فى حكمه كلفا * بما يسوق الى أبنائه ضررا

وقال كل واحد منهما وقد أصبح عاريا صفر اليدين ليت شعرى الى أين نذهب الى أين وقد جار علينا الزمان واقتفى منا الاثر فى كل مكان وأغرى بنا من بنيه الاوغاد وجند علينا منهم الاجناد فنصبوا لنا من قبل حبائل النكد واستلبت لصوصهم منا ما جمعناه وهو أقل العدد وسلط علينا البحر فكان أدهى وأمر لانه ذهب بالدرهم والدينار وأتى على ما كان من الجلاليب والاطمار

ألا انما الايام أبناء واحد * وهذى الليالى كلها أخوات

فلا تطلبا من عود يوم وليلة * خلاف الذى مرت به السموات

ولولا لطفه بنا عزوجل ووجود فسحة فى الاجل لم يكن لنا من الهلاك فى هذه الدفعة فكاك فماذا نصنع فى هذا العسر وقد مسنا الضر أنرجع الى الوطن بالخيبة وتجريد البدن أم نطوف بجميع الربوع ونهجر فى طلب الرزق الهجوع وبعد أن طال بينهما الكلام فى مثل هذا المقام بدا لهما أنهما لا يرجعان الى مسقط الراس وهما على هذه الحالة من الفاقة والباس وترجح عندهما عدم الاياب الى وطنهما بلا مال ولا ثياب

لى فى الله حسن ظن جميل * ان تجافى عن الخليل خليل

لى رزق لابد منه وعمر * ينقضى والكثير منه قليل

ومع العسر ان تتابع يسر * وصروف الزمان حال يحول

رب أمر يضيق ذرعك منه * لك فيه الى النجاة سبيل

انما هذه الحياة غرور * قد شغفنا بها فأين العقول

ننظر الحق ثم نعرض عنه * ونراه ونحن عنه نميل

ليت شعرى عواقب الامر ماذا * والى ما بنا المآل يؤول

ماقضاه الاله لابد منه * فعلام هذا العريض الطويل

ان لله فى العباد مرادا * وسوى ما أراده مستحيل

نحن مستعملون فيما خلقنا * مالنا فى نفوسنا مانقول

فتوغلا فى المدن والقرى والضياع واشتغلا بما فيه صلاح مالهما وخافا على وقتهما الضياع وكانا تارة يقطعان الحجر وتارة يقلعان الشجر

الشجر وطورا يحرثان الارض بالأثوار ويبذران الحبوب فيها بمقدار وطالما مرت عليهما سنوات وشهور في رعى الابل والبقر بالاجور واهتما بمباشرة مايقربهما من الغنا ولو كان فيه مافيه من العنا حتى تبسم لهما الدهر العبوس وامتلأت أيديهما من الفلوس وتذا كرا في العودة الى الديار فاستصوبا الرجوع اليها بما لهما من اليسار وأوّل مسئلة خطرت لهما بالبال وهيجت منهما البلبال هي مسئلة الزواج التي لاتهجس بالخاطر الا عند الزواج وقال أحدهما لاخيه من أمه وأبيه الآن نبلغ الامل ونصفح قفا من لام أوعذل فاستعدّ بنا للرحيل واصفح الصفح الجميل وكان الليل بظلامه قد أقبل والنهار بضيائه تحوّل واحتاجا للراحة فأخذ كل منهما مضجعه بعد أن ملأ بحديث الامان مسمعه

يا راقد الليل مسرورا بأوّله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

فلا وأبيك مامضى من الليل الا هجعة قليله وبرهة من الزمن غير طويله حتى وقعت ضجه عقب هذه ورجه وصاحت صائحه في أثر غادية ورائحه واشتعلت النار في جميع جهات الدار واحترق من السكان من كان غير يقظان وفي هذه الكره عدم الاخوان الصره وما سلما من اللهب ولا تخلصا من العطب الا بعد تجشم أخطار لم تكن في الحساب وخوض أهوال دونها ضرب الرقاب ووثوب فيما بين أماكن

محترقه بغاية العسر من كل طبقة الى طبقه وتجرّدا عن لباس ونعال وحمير وأفراس وبغال

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وبعد مضى سبعة أعوام كوامل فى كدّ وتعب بلا طائل لم يكن رأس مالهما سوى السلامه فأكثرا على الدهر من الملامه وأعرضا عن التنويه بذكر دار الولاد ورأيا أنه لافائدة فى تعلق الآمال بزينب وسعاد واعتزلهما الصاحب والجار لفاقتهما عند احتراق الدار

لقد ملنى بالفقر خلى وصاحبى * وان جئت أشكو ما أقاسيه صاح بى
وكل فتى قاسى من الدهر فاقة * يصير غريبا وهو بين الاقارب
وكل غريب وهو ينسب للغنى * تعودله كالاهل كل الاجانب
فما المال الا فى الملا زينة الفتى * وما الفقر الا من أمرّ المصائب
وما العكس للانسان الا مشقة * وما السعد إلا من أجلّ المواهب
وكم عالم فى الناس يحتاج درهما * وكم جاهل قد حازجاه المناصب
وكم من فقير حط بالفقر قدره * وكم من وضيع سادفوق المراتب
ولو أن للآداب حقا وقسمة * لزاحمت أرباب العلا بالمناكب

ثم التفت الى أخيه وتبسم وهو بنار الغيظ يتضرم وقال يا أخى لاباعث للغضب على اللص والبحر والنار ذات اللهب ولا داعى للاعتراض والاعراض فانه جل وعلا منزه عن الاغراض

وان

وأن المقدّر في الازل لايغير ولاتبديل لقوله تعالى في القرآن الحكيم (ذلك تقدير العزيز العليم) فقال له أخوه وقد عبس وبسر وغاب عنه صوابه وزاغ منه البصر يا أخي لاتسح بنا في الاقطار ولا تسرح بنا في الاقاليم والامصار ولنكف عن السعي في طلب الارزاق حيث آل أمر ما اكتسبناه الى السرقة والغرق والاحتراق

لقد نلت أهوال الشدائد كلها * ومارست أحوال الخطوب الكواريب
وذقت حلاوات الزمان ومره * وعلمني حكما دوام التجارب
وأشرعت الايام نحوي رماحها * كأني عدو للزمان المحارب
ولم أر في أبناء آدم من له * صفاء وداد خالص من شوائب

ولا نباشر في المساء والصباح شيأ من الاعمال التي مافزنا منها بالنجاح وتحول بنا عن السهل الى هذا الجبل المرفوع ليفترسنا الوحش أونموت من الجوع ونستريح في هذه المره من المعيشة الكريهة المره ولا برح يسخط على الزمان الخؤن ويحسن لاخيه شرب كاس المنون حتى أطاعه وصعد معه على هذا المرتفع الشاهق الذي رأسه للسحاب ملاصق فلما استويا على ظهره وركض بأرجلهما في وعره انتهيا فيه الى مغاره في ساعة اشتدت بها الحراره وكانا قد أضر بهما الظما وكادا يكتحلان بمراود العمى فمالا الى المغارة المذكوره التي تبدو لعين الرائي كأنها مقصوره وحيث كان وصولهما اليها من طريق

اضطرمت فيها من الغيظ نيران سقطا على الارض كالموتى تحت الجدران وأقاما على هذه الحالة الى وقت العصر وكانت درجة الحرارة قد انحطت وزال الحر فارتكن أحدهما بظهره الى جدار فوقعت عليه منه قطعة جص لايحملها حمار لكنه مرق من تحتها كالسهم ولم يحصل له منها أدنى وهن ولاوهم والتفت بوجهه الى هذا الجدار وأمعن النظر فيه وتأمل بالدقة فى تركيبه ومبانيه فاذا هو من آثار بناء رصين هو فى الحقيقة عبارة عن دائر قبر كأنه حصن حصين وقد اقتضت الحكمة الالهية أنه قد انفتحت فيه طاقة متسعه فنظر فيها وكان أخوه راقدا فنهض معه فلم يدركا آخرها ببصرهما الحديد ولم يدركا به ماوراءها من الامتداد البعيد وكان بيد أحدهما آله فعالج بها هذه الطاقه واستعان بأخيه على هذا العمل حتى أحدثا فى الجدار المذكور فرجة يلج منها الجمل وانكشف لهما سرداب عظيم الاتساع مهندم الشكل جسيم الارتفاع فانطلقا فيه كفرسى رهان وعثرا فى آخره على إيوان فألفياه مزخرفا بنقوش وكتابات وصور ورموز واشارات ووجدا به جملة من الجواهر والاحجار الثمينة الغالية الاسعار واللآلئ البديعه والدرر الرفيعه والصور الغريبه والاوانى العجيبه والاموال الوافره والاسلحة الفاخره فسجدا شكرا لله سبحانه على هذه النعم الجزيله والهبات الربانيــة الجليله ثم توجها الى أقرب مدينة من الجبل المذكور

المذكور واكتريا بها دارا واسعة ذات سور ونقلا اليها كنزهما في عدة أيام من غير أن يشعر بهما أحد من الاقوام وأكثرا من الخشم والجوارى والخدم وفتحا الابواب للغادى والرائح والسانح من الناس والبارح وانتجعتهم الشعراء من جميع الفدافد بكل مارق وراق من منتخبات القصائد فغمرا منهم الماشي والراكب ببحار العطاء والمواهب وأنفقا على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وشيدا المساجد للعبادة والمارستان لمعالجة المريض والعليل وشاع ذكرهما في السخاء والبذل في الشدة والرخاء واشتهرا في جميع الآفاق بالسماحة ومكارم الاخلاق فانجذبت اليهما قلوب العباد وأثنوا عليهما في كل ناد وأقبل عليهما أكابر الدولة وأمراؤها بوجه بشوش ولهجت بحسن سيرتهما الرعية والجيوش وتناشدوا مدائحهما في مجلس سيد الاقيال سلطان عصرهما أبي الاشبال فأرسل رسوله في طلبهما ليقف بنفسه على حقيقة نسبهما فلما قدم بهما عليه قبلا الارض بين يديه وقال أكبرهما يمدحه بهذه الابيات بعد ما دعا له بطول البقاء وصفاء الاوقات

لئن شرفت أرض بمالك رقها * فمملكة الدنيا بكم تتشرف
بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ * وسعيك مشكور وحكمك منصف
ومكنت في حفظ البسيطة مثلما * تمكن في أمصار فرعون يوسف

ومذ تبين له بعد أن تليا عليه مالهما من القصص وما تجرعاه في مدة حياتهما من الغصص أنهما ممن حنكتهم التجاريب وهذبتهم التداريب وعرفوا أصول السياسه واستحقوا الانتظام في سمط أرباب الرياسه بسط لهما بساط فضله وكرمه ونظر اليهما بعين عنايته وحسن شيمه وقربهما من سدته وجعلهما من ندمائه وعترته واعتمد عليهما في تدبير مملكته المنيفه ولا يزال يقلدهما وظيفة بعد وظيفه حتى خلع على أكبرهما خلعة الوزاره وألبس أصغرهما حلة الاماره وكان له كريمتان من المخدرات كأنهما الشمس والقمر بين أترابهن من البنات فأنعم على الوزير بالكبرى ومن على الامير بالصغرى وتبدل عسرهما باليسر وتضاعف منهما لله الشكر وعاشا معه في سعة وأرغد عيش رافلين في حلل الحرير بعد الخيش هكذا كانت عاقبة هذين الاخوين اللذين نشآ يتيمين فقيرين وقد سعيا بقدميهما الى المنيه فكان لهما في هذا السعي بلوغ الامنيه

(المقالة الرابعة)

(وتلك الايام نداولها بين الناس)

نشأ بمصر في سالف العصر رجل خليع من نسل الصريع كان مغرما بالسياحه مولعا من عهد نشأته بالملاحه ممتطيا

غارب

غارب الامل الى الغربه منتضيا فى التطواف عضبه قاطعا الاغوار والانجاد ساعيا فى الفيافى بلا ماء ولا زاد

لا يستقر بأرض أو يسير الى * أخرى لشخص قريب عهده نائى
يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو * ما بالعذيب ويوما بالخليصاء
وتارة ينتحى نجدا وآونة * شعب الحزون وحينا قصر تيماء

وقد اتفق له فى بعض الاسفار المتوالية بجميع الاقطار أنه حج الى بيت الله الحرام فى عام من الاعوام وبينما هو يدعو ربه عند طوافه بالكعبه اذ سمع فى الاسحار زنجيا متعلقا بالاستار يقول فى تضرعاته عقب انصرافه من صلاته الهى أنت قلت فى كتابك المنزل على خلاصة أحبابك (وتلك الايام نداولها بين الناس) فأين دولتى ياشديد القوى والباس فدنا منه وجذبه من الاطواق وأخرق به غاية الاخراق وقال له كيف ياأخس الرجال تعلق أملك بالمحال ولست ياأسود البشره من القوم الكرام البرره أم كيف لا أم لك تترقب الصعود الى الفلك وتتعلق منك المطامع ياأنحس مخلوق بأسعد الطوالع مع أنك الى الآن لم تنز بالعتق ولم تخلع عنك ثياب الرق يا ويلك ان كنت قد اغتررت بولاية كافور الذى كان آمرا فى صورة مأمور فتلك فلتة من فلتات الدهر وهفوة من هفواته التى تقصم الظهر وكأنك بمولاك أيها العبد الآبق والوغد المهين المارق وقد جد فى طلبك وردك الى سوء منقلبك

وطرحك على التراب وصب عليك سوط عذاب فقف عند حدك وارجع فى عملك الى كدك واجعل ياهذا أمنيتك قاصرة على ملء بطنك وستر عورتك الظاهرة فقال له الزنجى وقد استدل بفعله على رعونته وسخف عقله ياهذا خفف عليك فليس الامر منك ولا اليك وكف عن هذا التقريع والتوبيخ والتشنيع فانك تعلم أن الله على كل شئ قدير وانه سبحانه وتعالى بالاجابة جدير وانى على ثقة من بلوغ المآرب والفوز بنيل المطالب لانه مادق باب الله أحد من العباد الا فاز من فيض احسانه بما أراد وهذا هو اعتقادى ونيتى من عهد ولادى ونشأتى والعبرة بالنية فى الماضى والآن وقد قال صلوات الله عليه بنص الثقات من ضمن الاحاديث المرويات (انما الاعمال بالنيات) ورجائى فى مكارمه التى لاتعد أنه لايردنى فى هذا العام بغير القصد لاسيما وقد وقعت على أعتابه وتوسلت اليه بصفوة أحبابه وحفظت قوله تعالى وهى للقلوب طب (وقال ربكم ادعونى أستجب) وقد أمرنا بالدعاء فلانيأس من الاجابه وفقنى الله وإياك للاصابه فقال الخليع وقد تمكن منه الغضب وانحرف عن سنة العجم والعرب وكاد يحترق من نار غيظه بلهب أو يقتل نفسه ويذهب فمن ذهب ان استجاب الله دعاك وبلغت على زعمك مناك صفعت قفا الزمن ورفعت ألوية الفتن والا خضبت بدنى بالسواد وهمت

مع أبناء جنسك فى كل واد ولولا أنه خلى سبيله وراح وغاب عن نظره فى البطاح اضربه فى الحرم وتعدّى عليه وظلم لكن لخوف ابن الصريع من أن هذا العبد ربما نال مارام ندم على ماشجر بينهما من الخصام وتذكر فى الحال قول من قال

واذا العناية صادفت عبد الشرا * نفذت على ساداته أحكامه

ولما مضت أوقات الحج وانقضت سويعات العج والثج وحن كل انسان الى وطنه واشتاق الى أهله وسكنه امتطى كل فريق متن طريق فأما الزنجى فلم يعلم أين درج ولاعلى أىّ سلم عرج وأما الخليع فكان من جملة من ركب البحر بعد فوات عشر من عيد النحر لانه لتمام الخيبه لم ينتجع طيبه ولم يتمتع قبل القفول بزيارة الرسول وعند حلوله بالسفينه مع فتية من أهل الوقار والسكينه انتقلت بهم بعد نشر الشراع من أشرف البقاع الى الجهة التى أملوا الوصول اليها وعطفوا بالجول عليها وقد كان فى هذه البرهة معرضا بجانبه عن الناس كأنه من ملوك بنى أمية أومن خلفاء بنى العباس وما ذاكره الا لاستغنائه بالقناعه عن مخاطبة الجماعه ولذا كان يترنم فى الرواح والغدو بقول من كان فى عزلة عن الحبيب والعدو

وأدبنى الزمان فلا أبالى * هجرت فلا أزار ولا أزور

ولست بقائل ماعشت يوما * أسار الجند أم ركب الامير

لكن بعد خمسة أيام وخمس ليال أظلمت السماء قبل الزوال
وانحطت على السفينة من جهة الجنوب ريح عاصفة متواترة
الهبوب فحرفتها عن اتجاه المسير ومزقت شراعها الكبير
واجتهد كل ملاح في خلاص الارواح من هذا الارتباك
المفضي الى الهلاك فما نجحت الاعمال ولا تحققت الآمال
بل ضاق الفضاء ونزل القضاء وخاب الرجاء وعز الوصول الى
النجاء وحان الحين ونعب غراب البين وتبدل بالخوف
الامان وطاش عقل الشجاع والجبان وطار من الحمام على
رؤس الجميع الحمام ونادى منادى الفراق لاسبيل الى البقاء
بعد هذا المحاق حيث صالت جنود الامواج على ثلاث السفينة
المصنوعة من الساج فانخرقت قبل طلوع النهار وانجذبت
بما اغترفت من الماء الى القرار وما أظن انه نجا من الغرق
سوى ابن الصريع الذى كاد يهلك من الفرق وسبب نجاته من
هذا الموت العاجل أنه أدرك بمصادفة الاقدار بعض الصنادل
فانزوى فيه بلا رفيق ولا مصاحب وهو لا يشك أن طرف الردى
له مراقب وقد انقطع أمله الا من الخالق وأخذ فى الاعتذار
عما كان منه فى السابق

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذى يرجو سواك ويتقى * وما لك فى فصل القضايا مخالف

فياسيدى لاتخزنى فى صحيفتى * اذانشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسى فى ظلمة القبر عندما * يصدذو والقربى ويجفو المؤالف
لئن ضاق عنى عفولث الواسع الذى * أرجى لاسرافى فانى تالف

وعما قليل وصل به هذا الصندل الخفيف عند صفاء الجو وسكون البحر الى رصيف تحت سفح جبل سهل الانحدار فصعد عليه فورا بدون انتظار وكانت الشمس قد طلعت وعن الارض بمقدار رمحين ارتفعت فصبر حتى جفت أثوابه واستراح وعاد اليه صوابه ثم استوى قائما على قدميه وبسط نحو السماء يديه وقال وقدزال عنه التعب وتخلصت رجله من ربقة العطب

لك الحمد اذ أنقذتنى دون رفقتى * من الموت بين الموج فى ظلمة البحر
ونجيتنى وحدى وقد كنت يائسا * بلطفك يا ربى سريعا الى البر

وبعد ذلك التفت الى جهة اليمين على عجل وأخذ فى السير بلا توان ولا مهل فوصل قبل العصر الى مرج نضير فيه نهر فجلس على حافته واضطجع وقد ذهب عنه الروع والفزع وصبر حتى اذا ماخف عنه النصب وتوضأ وصلى ما عليه وجب اقتطف من بعض الاشجار ماسد خلته من الاثمار وقال وهو يجول فى أكنافه ويسرح طرفه فى أطرافه

اذا ما الدهر بيتنى بجيش * طليعته اغتمام واغتراب
أغار عليه من جهتى كمين * يسوس أمور عسكره كتاب

وبت أنص من شيم الليالى * عجائب من حقائقها ارتياب
بها أجلو همومى عن فؤادى * كما يجلو همومهم الشراب

ثم ترك المرج وراء ظهره وتوكل على مولاه فى سره جهره وسار ولكن غير بعيد فصادفه على خيل البريد رجال بيض الالوان سود الشعور والاجفان عليهم ملابس حسان وفى يد كل واحد منهم سنان ولما وقعت أعينهم عليه مالوا بكليتهم اليه وبشوا فى وجهه وحيوه بتحية الاسلام وقابلوه بما يستحق الغريب من الاكرام وحملوه على دابة عظيمه من الجياد التى فى سيرها مستقيمه وتمادوا به على الحركه بين الرياض باليمن والبركه حتى أدخلوه من باب يعرف عندهم بالمأنوس ومشاوه بين يدى ملكهم المضاهى فى لونه للآبنوس فبعد أن تأمله مليا وعرفه جليا تكلم معه برقة ولطافه وبعث به الى دار الضيافه وكان ابن الصريع قد تحقق أنه صاحب الوقفة بالحرم فأيقن أنه زلت منه القدم وأوجس فى نفسه خيفه وخشى منه جوره وحيفه وتوهم أنه ربما أمر بقتله قبل وصوله الى أهله وأن نجاته من البحر ما أغنت عنه شيأ فى البر هنالك نثر من عينيه العبرات وتمنى أنه لو هلك فى السفينة أو فى الفلوات ولا كان قد وقع فى قبضة هذا الاسود الذى يحتمل أن نار الاساءة فى قلبه لم تزل تتوقد بيد أنه لما دعى الى المقابله بعد عشرة أيام كامله قبل فى الحال بين يديه الارض

الارض وأتى بالسنة فأجيب بالفرض ثم قال له الملك بابتسام مرحبا بك يا ابن الكرام فقال الخليع وقد كساه الحياء ثوب الخجل وزال ما كان اعتراه من الخوف والوجل

سجاياك ان عافيت أندى وأسمح * وعذرك ان عاقبت أجلى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية * فأنت الى الادنى من الله أجنح
وقلت سيجزيني المليك بفعلتي * فقال سأعفو عنك حالا وأصفح

فلما سمع منه ما أبداه قربه من سيده وأدناه وتزحزح له عن مكانه وأجلسه على السرير في أمانه وقال له وقد ضمه الى صدره وقبله في عارضيه ونحره أيّ ذنب وقع منك وأية جناية صدرت عنك حتى تأتي الاعتذار ياصاحب الجاه والاعتبار أما أنت يارب المقام الجليل لغلامك المخلص نعم الخليل معاذ الله أن يكون هناك ما يوجب العقوبه ويدعو الى لوم فيه أدنى صعوبه فقال الخليع وقد اتسع صدره وانشرح وكاد يطير من شدة السرور والفرح تالله يا كريم الخلال ويا شريف الخصال انك أولى بالملك من غيرك حيث فاضت على الايام بحار خيرك وهل يكون في ذلك نزاع أو جدال وانك قد احتويت على جميع مناقب الكمال

فيك ماشئت من بديع صفات * حار في حصر بعضهن الاديب
فيك حلم ورأفة وسخاء * وسداد به يسود الاريب

ولأنت عند كل انسان أعز من أهله والاخوان أما أنا على

الخصوص فعندى من الادلة والنصوص مابه يثبت أنك أوحد الملوك والاقيال وأسعد من تضرب بعدله الامثال لانى جنيت فعفوت وأسأت فأحسنت وما جفوت فجوزيت بما أنت أهله من علو المكانه وجوزى سواك على سوء فعله بالاهانه

ولو أننى أصبحت كلى ألسنا * وأطلقتها فى بث ماهو لازم
لقصرت عن احصاء بعض مناقب * بها اشتهرت فى الخافقين تراجم

وبالجملة والتفصيل فليس لك فى زمانك مثيل ولسان حال كل من رآك يقول وهو واقف تحت لواك

ولو أننى أصبحت فى كل نعمة * وكانت لى الدنيا وملك الاكاسره
لما وازنت عندى جناح بعوضة * اذا لم تكن عينى لشخصك ناظره

فأثنى عليه الملك وشكره وبجزيل احسانه غمره فقال الخليع مخاطبا له وقد أثرى بعد الافلاس بقول ابراهيم بن العباس

سأشكر عمرى ماتراخيت منيتى * أيادى لم تمنن وان هى جلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها * فكانت بمرأى منه حتى تجلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

وكان النهار قد انقضى والليل قد أقبل بالمسرات والرضى فقام الملك والخليع والوزير الكامل بن المطيع وركبوا عند خروجهم من الديوان عربة فسارت بهم حتى انتهوا الى قصر العقبة ونزلوا فى هذا القصر بمنظرة مشرفة على نهر وبعد أن لبثوا اليها هنيهة يسيره ولحظة من الزمن قصيره دعاهم الشريف

ابن

ابن مطرب امام الحضرة الملوكية الى صلاة المغرب فاصطفوا وراءه وكان حسن القراءه فصلى بهم المكتوبه فى الساعة المطلوبه ثم انتقلوا بعد الفراغ من الصلاة المذكوره الى قاعدة المائدة المشكوره فأكلوا حتى اكتفوا من الطعام وكان آخرهم قياما الامام وبعد أن شربوا القهوه صعدوا فى بستان القصر على ربوه فصلوا صلاة العشاء الاخيره وركب كل من الوزير والامام عربة صغيره وتوجه الى داره بعد مافاز من الملك بيساره ولما خلا المكان لابن الصريع من ابن مطرب وابن المطيع سأل الملك عما وقع له بعد الانصراف من أم القرى وكيف كان وصوله الى هذه المدينة عالية الذرى فقال له اعلم انى ركبت البحر فانكسرت السفينة على صخر وتعلقت بلوح فأوصلنى الى البر بلا سوء ولا شر وحملنى رجال البريد كما حاولت على جواد وساروا بى الى المدينة باجتهاد فلما دنوا بى من الاسوار وكانت الشمس فى رابعة النهار ألبسونى بعد السلام من الهلاك فى يوم الخميس تاج الملك وعقدوا لى فى أحسن طوالع السعود موكبا عظيما أكثروا فيه من العساكر والبنود ومشوا بى والمظلة على راسى والدهر لى فى جميع أحوالى مواسى حتى أجلسونى على التخت ولا جرم أن هذا من سعادة البخت وسألت فيما بعد عن الحامل لهم على ذلك ولماذا لم يقتدوا بغيرهم من الممالك وما هو هذا السبب الذى

بلغت به الارب فأخبرنى جم غفير من ضمنهم الوزير ان العادة الجارية من قديم فى هذا البلد العظيم ان الرعية متى مات ملكها القائم ولت عليها من الاجانب أول قادم وخلعت عليه الخلعة الملوكيه وأذعنت له بالعبوديه وأقول لك ياخليع هذا مصداق قول الملك العلام فى القرآن الحكيم (وتلك الايام)

لما أتتنى دولتى * والدهر سالم وابتسم
نلت المنى وبلغت ما * أرجوه من فيض النعم
وغدوت فى الملك الذى * أوتيت منشور العلم

وكانت نفسى تحدثنى عقب الفطام ان أحظى ذات يوم بهذا المرام وتذعن لى بالطاعة بعض العباد وأكون نافذ الاحكام فى البلاد وكان لى حاسد من أبناء حام لايغفل عن مواجهتى بالملام فكان يقول لى متهكما بى إنى رأيتك فى المنام انك ياحام تملك رقاب الانام فكنت أصول عليه وأجول وأسخر به كما يسخر بى وأقول

الاقل لمن كان لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله * لانك لم ترض لى ما وهب
فجازاك عنه بان زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

ولم يزل هذا دأبه ودأبى حتى نلت مارمت بفضل ربى فقال الخليع أنت يارب السعاده فى عصرك أهل للحسنى وزياده

لانك

لانك ملكت فعدلت وعن مكارم الاخلاق ماعدلت

فاسلم ودم فى صفاعيش وفى ترف * ففى بقائك مايسلى عن السلف

فأنت للمجد روح والورى جسد * وأنت در فلا تأسى على الصدف

وكان ابن الصريع قد ناهز الستين من الاعوام وعرف بلغات كثير من الاقوام فآثر الاقامة مع الملك فى بلده على الرجوع الى أهله وولده

ان كان لابد من أهل ومن وطن * فحيث آمن من ألقى ويأمنني

وعاش فى خدمته عشرين سنة مرت كأنها لقصرها سنة ولما مات هذا النديم الذى كان أصدق خديم شيعه الملك مع أرباب دولته الى لحده واحتفل بمأتمه وبكى عن فراقه وفقده ولم يعش بعده سوى ثلاث سنوات كان عليه فى أثنائها بادى الحسرات

(المقالة الخامسة)

(فى الاشتغال بمباشرة المناصب عن الاحتفال بمسامرة الصديق والصاحب)

نقلت من خزانة الاسرار باحدى مدن الآثار عن حبر أحبار وجهينة أخبار عبارة بالحروف مرقومة تحت صورة فى الكتاب مرسومة تشير باحدى يديها الى المقة والوفاق وبالاخرى الى المقت والشقاق وهى مع مافيها من اللطافة تعد فى ذاتها خرافة ونصها أنه كان يوجد بمدينة

تلمسان كهل من عفاة بنى ساسان أنهكت جسمه الفاقة ولم يقابله دهره بالطلاقة وكان له ولد نجيب أو حفيد ذكى لبيب انحاز الى مؤدب صبيان ومعلم أطفال وفتيان فتعلم القراءة والكتابة وأبدى فى حفظ دروسه النجابة وأخذ عن غيره النحو والصرف وجال فى ميدان الادب بأسبق طرف وبلغ من المنطق والبيان والبديع ما يرتفع به قدر الوضيع واستحوذ من العروض والانشاء واللغة وسائر الفنون والحديث والفقه والتوحيد وآداب البحث على ماتقر به العيون وبرع فى معرفة الهيئة والجبر والهندسة والحساب وحل بفكره الوقاد فى كل فن مسائله الصعاب حتى أصبح لايجاريه مجار ولايباريه فى مجاله مبار وهاجر فى طلب العلم الى أكثر البلاد وكانت آخر مدينة انتهى اليها بغداد فاجتمع فيها باقيال البراعه وأبطال البلاغة واليراعه وركب معهم سفينة المناقشه ورفع فى بحرها شراعه ومد بينهم فى كل فرع من العلوم باعه فلما تبين لهم أنه فارس الميدان وأنه أوحد زمانه فى المعارف بين الاخدان مالوا اليه وكثرت فى المدينة خلانه وأثنت على أخلاقه بكل لسان جيرانه وشاع بين البرية ذكر معلوماته الخارجة عن حد القياس حتى طرق مسامع وزير أحد خلفاء بنى العباس حيث قيل له وهو فى محفل من نبلاء الجلاس ان هذا الاستاذ أفصح من قيس وأذكى من إياس فقال الوزير

لحاجبه

لحاجبه ابن جرير اقصد فى غد دار هذا الفاضل الذى دونه فى المباحث كل مناضل والتمس من جنابه أنه يزورنا بركابه لعلى أتخذه كاتبا ومشيرا وحاسبا بالديوان وسميرا فقبل الحاجب الارض وأجاب بلبيك وقال أنه سيكون عندك وبين يديك فلما كان فى صبيحة يوم الجمعة هيأ بغلة عظيمة السرعة وسعى اليه وسأله عن داره من وجيه كان ساكنا فى جواره ومذ لقيه وجاء به الى مولاه قربه وأكرم مثواه وأنزله برواق من مأواه ورفع درجته على من سواه ولما كان هذا المتفنن حلو الفكاهة حسن المسامرة مجازى النباهة خلب العقول بفصاحته وسلب الألباب بسحر بلاغته وتشبث من عهد نشأته بما ينشر بين الملأ أعلام شهرته ويذهب عنه العسر والباس ويجلب له اليسر بين الناس ويجذب اليه قلوب الورى ويطيع له أسد الشرى ويرغب فيه العباد ويحبب فيه ذوى الرشاد وقد احتفل بذلك فى السر والعلن حتى نال بغيته وفاز بالذكر الحسن ولم يدع من أفعال الخير شيأ الاسارع اليه وانقض بلا توان انقضاض العقاب عليه فكنت تارة تراه بالمساجد كناسك راكع ساجد وتارة يبدو فى المجالس بوجه بشوش عابس وطورا يبرز بين الاقران فى حلة الرأفة والاحسان وطالما أحرز قصب السبق فى مضمار نصرة الحق وتمادى على هذا العمل بلا فتور ولا كسل الى أن تقرب

بمثل هذا السلوك من هذا الوزير الذى تفتخر به الملوك فقلده فى ديوان الخليفة بوظيفة كاتب الانشاء المنيفة ثم تنقل من إيوان الى إيوان حتى استوى على مرتبة رئيس كتاب الديوان وصار يركب فى المواكب بعد انتظامه فى سلك ذوى المراتب ويتقلب أودية النعم ويتصرف التصرف التام فيما يتعلق بارباب السيف والقلم ولازال فى كل يوم يعلو مناره وينمو على الدوام فخاره ويزداد بين الامراء اعتباره ويغرس فى أفئدة الوزراء وقاره الى أن نال من زمانه الامل ووصل بالارادة الازلية الاماوصل ولاحظته عيون السعادة ففاز بالحسنى وزيادة

الارب راج حاجة لاينالها * وآخر قد تقضى له وهو جالس
يجول لها هذا وتقضى لغيره * وتأتى الذى تقضى له وهو آيس

وبعد أن تقلد بهذه الوظيفة الرفيعة وتأهل من بنات أعيان المدينه بحرة فى حسنها بديعة أقبلت عليه الدنيا بخيراتها الجزيلة وامتلأت عليه داره من الخدم والجوارى الروميات الجميلة واشتغل بمباشرة المناصب عن الاحتفال بمسامرة الصديق والصاحب فثارت علية طوائف الحساد من كل جانب واتهموه بالانحراف عن أقوم المذاهب وقال فيه شاعرهم

اذارفع الزمان وضيع أصل * وألبسه ثياب الاعتبار
فسالم من أردت سواه وانظر * له أبدا بعين الاحتقار

وزعموا

وزعموا أن بشاشته تبدلت بالتقطيب والعبوس وان فطانته وعدم استقامته قد اشمأزت منهما النفوس وأنه اعتزل الاشراف وحاد عن طريق الانصاف وبالغوا فى ذمه وتغالوا فى هجاء أمه وقال بعضهم فى مجلس الوزير إن سوء فعله من الادلة القائمة على دناءته وخسة أصله وأنه مبير كذاب ومثير للفتن مرتاب وانه لما نال بغيته بغى وضل بعد الهداية وطغى وتاه على ابناء جنسه ولم يذكر فى يومه مالقيه فى أمسه وقال آخرون أنه بقية من قوم عاد وان حياته مضرة بالانام على القرب والبعاد وانه ظهير لذوى المعايب ونصير للعاكفين على المثالب وليس الباعث لهم على اذاعة هذه الاقاويل الكاذبة واشاعة هذه الاباطيل التى سهامها به صائبة سوى الغيرة والحسد الذى رماهم بنبال الكمد

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وبالجملة فانهم أقاموا على هذه الوتيرة مدة من الزمن غير قصيرة ونسبوا الى بعض أصهاره انه هجاه بقوله من بديع اشعاره

مالى أراك عدلت مالضرورة * عن سنة الاشراف والامجاد
أنسيت انك قد نشأت بلا أب * فى فاقة من معشر أوغاد
من أين كان لك التقدم عنوة * لاعن أبيك ولاعن استعداد

وكان كلما ذكر فى محفل قال أدناه وأعلاه مشيرا الى كبره لو كان فيهما آلهة الا الله وحيث ان كل ذى نعمة عليها محسود

اجتهدوا فى تقبيح سيره المحمود حتى أوغروا عليه صدر ولى أمره بعد أن أقاموا له البراهين على اعتزاله وكفره فتنكر له وعزله وعن وظيفته السامية فصله فلما انزوى عقب الطرد بقصره لم يتركوه بلا اذى فى حصره بل اعتدوا عليه وبعثوا اليه

أمسيت يا طير مقصوص الجناح وقد * القاك صيادك المحتال فى القفص
لافرج الله عنك الكرب فيه ولا * أخلاك فيه مدى دنياك من غصص
وأنت لاشك بعد الموت فى سقر * بنص ما أنزل الجبار فى القصص

وكان قد اكتسب من الرزق الحلال بالهمة مالا يحصى من الاموال الوافرة الجمة وادخرها فى داره المضاهية فى زينتها لمدينة إرم التى كانت آهلة بالسرارى الحسان والحشم ولولا شغفه بحب الرياسة وتولعه بأحوال السياسة لعاش عيشة راضية فى يسار وثروة ولذة وافية وزيادة حظوة وكيف لا وقد كان فى هذه الدار المزخرفة الرصينة الاسوار ما تشتهى الانفس وتعجز عن وصفه الالسن مما يشرح الصدور ويسر الاعين من عرب اتراب تسحر بجمالها الالباب وحور عين حسان لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان وهو معهن آناء الليل وأطراف النهار فى جنات تجرى من تحتها الانهار ولما توارى عن ذوى الاحقاد وانقطعت عنه السنة الحساد كان لايسمع ما يكدر منه الخاطر أو يحرك ما انطوت عليه الضمائر من غيظ وحنق على من بنار النميمة احترق

احترق فلو انه دام على هذه الحال لتنم منه البال لكنه لما طال عليه المدى وتذكر شماتة العدى عاف الشراب والطعام وانعجم لسانه عن الكلام وضاق منه الخناق وكادت روحه تبلغ التراق وهجر الكواعب وبسر فى وجوه ذوى الملاعب ومج سمعه الانغام والاغانى وأعرض عن مشاهدة الغوانى وتوهم ان بستانه النضير الواسع وروضه المزهر اليانع قد أمسى لتقارب الاطراف أضيق من سم الخياط بلا اختلاف وأظلمت الدنيا فى عينيه وصار لا يبصر ما بين يديه وساءت منه الاخلاق واعترض فى سره وعلانيته على الخلاق مع انه كان يستقبح الفسق والفجور ويمقت منكر البعث والنشور ويقضى بكفر ادهى ابناء معرة النعمان حيث قال وهو اشعر العميان

أتترك لذة الصهباء عمدا * لما وعدوك من لبن وخمر

حياة ثم موت ثم نشر * حديث خرافة يا أم عمرو

وكان لاحتجابه عن انتشاق نسيم الاخبار يصبح ويمسى فى اختناق على مقالى النار ولقد عيل منه الاصطبار بعد طول الانتظار وأضحى لا يقر له قرار بأى مكان من الدار حتى انه فى خلال الدوران دخل قاعة مزخرفة البنيان ووقف تجاه شباك مشرف على شارع ابن الحباك فوقع بصره على شيخ كبير كأنه لضخامته بعير وهو يتوكأ على عصاه وقد كشف رأسه

وقفاه وشرع فى طلب الصدقة من ذوى المروءة والشفقة
بقوله ياأهل المراحم والمروءة والمكارم الشاملة والفتوة تصدقوا
على بعل الشيخة أم طبق بما يستر العورة ويسد الرمق
فلما رآه وهو على مابه من الاضطرار الى سؤال الجائز والمار
حسده على غدوه ورواحه وتمنى ان يحظى مثله باطلاق سراحه
وقال لغلامه وائل علىّ بهذا السائل فانطلق على الفور يهرع
خلفه فأدركه قبل الانسياب فى أول عطفه وقال له أيها
السائل المضطر أجب الرئيس أوحد الدهر فحصل للشيخ من
شدة الارتياع ضرب من الخدر والصداع وأوجس منه فى
نفسه خيفة لتوهمه انه من الاعوان الموكلين بضبط كل سائل
من الرجال والنسوان وقال سألتك بالله ياابن الحلال الا
ماتركتنى أسعى فى طلب رزق العيال فتلطف به حتى لان وأجابه
وسار معه وهو على غاية من الارتياب وأدخله القصر بعد صلاة
العصر فاعتراه من هيبة المكان مازلزل منه الاركان وكاد
عقله من رأسه يطير عند رؤيته لاعوان هذا الرئيس الخطير
ومن شدة مانا له من الذهول هم بالرجوع من قبل الوصول
فمنعه الخادم أبو خف عما أراد بلين ولطف ولازال يسكن
عنه بعض روعه وينهاه عن رجوعه ويعده من مولاه بزوال
البوس وامتلاء كيسه بعد الافلاس بالفلوس حتى وقف به
أمام سيده بالبستان وقال له أدن من مولانا وقبل راحيته
بأمان

بأمان فلما عاينه الشيخ جثا عن ركبتيه وبادر الى تقبيل مواطئ قدميه فأقامه وعلى متكأ بجواره أجلسه وبش فى وجهه وبعذوبة ألفاظه آنسه وسأله عن أحواله وعن مقر زوجته وعياله ثم أمر غلامه ابن بسام . بالتوجه به الى الحمام وبعد تنظيف بدنه وازالة ماعليه من درنه خلع عليه حلة تليق بحاله وغمره من الاحسان بما كفه عن سؤاله وحمله بعد حلق رأسه وقص شاربه الى مولاه فأكرمه وأجلسه بجانبه وقال له أيها الشيخ الذى ألبسه الشيب من الوقار أبهى ثياب أنت صرت الآن عندنا من أجل الاصدقاء والاحباب وقد ربطنا لك ولعيالك من المرتبات مايستقيم به أودحالك ورفعنا ماييننا وبينك من الحجاب فأدخل علينا بدون استئذان من أى باب وأتحفنا بما تلتقط من الاخبار ولاتخف بعد إقبالنا عليك غائلة الادبار فقال الشيخ متمثلا بما راق وحلا

يا أيها البر الكريم ومن له * منن حلان من الزمان وثاقى

من شاكر عنى نداك فانه * من عظم ماأوليت ضاق خناقى

منن تخف على يديك وانما * ثقلت مؤنتها على الاعناق

وحضرت المائدة بالاطعمه فدعاه اليهما وعلى سواه قدمه فامتنع عنها الشيخ وتأخر وأحجم عند الاقدام وتقهقر وقال معاذ الله أن يأكل السائل المسكين مع حضرة الرئيس الاجل المكين لانه لايسوغ للصعلوك الذى لايساوى قلامة ظفر

يحاول ان يجارى على الأكل مع المالك ولوساقه الجوع الى مهاوى المهالك وكيف يجلس معه على خوان يتعذر الدنو منه على الوجوه والاعيان فقال له الرئيس النبيل هذه عادتنا مع الحقير والجليل ولازال يدعوه الى الزاد وهو يمتنع ولونه من شدة الخجل يتقع الى أن تقدم لكن على رغم أنفه لانهم كانوا يقودونه من أمامه ويسوقونه من خلفه ولما قعد للأكل ولم يتفق له ذلك من قبل مدّ يده وهى فى غاية الارتعاش وتناول أول لقمة فسقطت على الفراش وهكذا كان يأكل بخوف ووجل وكأن حلقه مسدود بصخرة من جبل مع انه كان يتأتى له فى غير هذا الخوان ابتلاع عشرة أرغفة بفخذ من الضان ولاشك انه ماتحصل من هذه المائدة الكثيرة على شبع . بل قام جائعا يتمنى الأكل مرة أخرى مع الشبع الا انه قد حيل بينه وبين المرام لخوفه من التوبيخ والملام ولما فرغ من غسل يديه وانتصب أمام الرئيس على رجليه أشار اليه بالقعود وأجاب بالركوع والسجود فألح عليه حتى جلس فوق بساط منقوش فى قاعة بجوار قاعة المائدة مفروش وبعد ان شرب القهوة ازداد فرحا ونشوة وبات الى الصباح فى سرور وانشراح ثم خرج من القصر ولسان حاله يقول وفى طريقه يجول

تبدل عسري بيسر وقد * بلغت من الدهر كل المنى

فيارب

فيارب زدني قبـــولا به * أعيش سعيدا حليف الغنى

وكان برفقته أحد غلمان الدار فأخذه معه فى السير الى جهة اليسار حتى أوصله فى عطفة مائله الى المنزل الذى نقلت اليه العائله ثم تركه وانصرف من حيث أتى ودخل هو على زوجته فسمعها تقول لاحد أولادها يافتى أين أبوك الاقرع بن شعلان فانه لو رأى مانحن فيه من الخـير والاحسان لزال عنـه الهم والترح ولبكى من شـدة الفرح تالله ياقرة العـين وحيـاة أختك أم بطنـين انى أظن اننا الآن فى منـام والذى نحن فيه اضغاث احلام فقال لها وقد لاحت منه التفاتة الى جهة الباب هـذا أبى قد أقبل يرفل فى أبهج أثواب فعنـد ذلك هرولت الشـيخة بملابسها الجـديدة اليـه وقبلت يده وسـلمت بالاشتياق عليـه وقالت لى ياأبا الاطفـال من أين لنا هـذا الاقبال فقال لها يابنت عبد الله هو من عند الله ثم قص عليهـا ماجرى من أوله الى آخره وأوقفهـا على باطنـه وظاهره وقال لها وأنت اخبريني كيف كان الانتقال من دويرتنا الحقيرة الى هذا المنزل العال فقالت جاءنى جماعة من الغلمان بأقمشة صالحه للبنات والصبيـان وقالوا ان الشـيخ بعث بها اليكم فالبسوا منها ماشئتم فانه فصلها عليكم وسيروا بنا الى الدار التى اشـتراها برسمكم وأعـدها بجوار قصور الاعيان والامراء لكم فلما توسـطناها وطفنا بمـا فيها من المنـاظر والمخادع والاروقـة

الواسعة المطلة على الدور والجوامع وكان طوافنا فيها بالذكور والاناث وجدناها بديعة الهندمة كاملة الاثاث والفينا بها من الحنطة والسمن والعسل والفول والزيت والزيتون والثوم والبصل مايكفى بلا تردد فى القول مدة لاتنقص عن نصف حول وهاهى امامك وبين يديك فطف بها ان لم يكن فى الطواف مشقة عليك فقال لها وقد تبسم وهو بمدح المنعم عليه يترنم قولى معى فى الابتهال بعد الصلاة على النبى والآل اللهم بارك لنا فيما أعطيت ومتعنا بزيارة ساكن طيبة وحج البيت وانظر بعين الرضى والقبول والرعاية الكاملة والشمول الى من عمنا من بحر كرمه بوافر هباته ونعمه وكان الليل بظلامه أقبل والنهار بضيائه تحوّل فأكلوا حتى اكتفوا مما تهيأ لهم من الطعام الفاخر وحمدوه سبحانه على مااغترفوا من بحر جوده الزاخر وباتوا فى مسرات وأفراح الى أن أشرقت غرة الصبح الوضاح ثم نهض من نومه كأنما نشط من عقال وصلى صبحه وأفرغ عليه ملابسه فى الحال وأكل مع أولاده ماتيسر وخرج من داره واكترى من السوق حمارا أخضر فركبه وانساب فى الازقة والشوارع فالتقط كل خبر شائع وسارع بما جمع الى مولاه فقص عليه ماسمع من الافواه وياليته باع كما شرى بل أضاف الى كل لفظة من امثالها عشرا فحظى عنده بأعلى منزله وبالغ فى احترامه وبجله وقال له أيها

الشيخ

الشيخ المعمر ومن هو نعم السمير المدبر أركض بخيلك ورجلك ولو فى الدواوين والمصالح والمحفى باخبار المقيم والغادى والرائح وان لاح لك فى مدحى فرصه فانتهزها عسى تزول بها عنى الغصه لأعود يا أبى كما كنت الى منصبى فأجابه الشيخ بالطاعة والسمع لطمعه فى الحصول منه على النفع ثم ودعه وانقلب الى داره وأمر كلا من زوجته وأولاده بالتجرد عن أطماره وصعد بهم فى الثلث الاخير من الليل على السطح وكان يحفظ من القرآن الشريف سورة الفتح فتلاها بسكينة وخشوع وقد تناثرت من عينيه الدموع وقال يا أولادى أنتم تعلمون ما كنا فيه من الفقر وعرى البدن والفاقة التى تقصم الظهر وان هذا الرجل المحسن تكفل لنا بالمؤنة والكسوة ودفع عنا بما وصلنا به من الاحسان ما كان للزمن من الجفوة فارفعوا أكف الضراعة باخلاص واطلبوا منه جل وعلا انقاذه من ضيق الاقفاص وعودته الى ما كان عليه من الاقبال وامتيازه فى الدرجة عن الاقران والامثال وقد استمر معهم على ذلك نحو سنه لاتأخذهم فيها عند السحر نوم ولاسنه فلما كان فى أول ليلة من شهر الصيام خلعوا ملابسهم والناس نيام ودعوا وعليهم أمنت الوالدة وكانت أبواب الدعاء مفتحة والايام مساعدة فاستجيب دعاء الوالد والافراخ وانتشل الرئيس من وحلة الطرد وماله من الاوساخ وذكر عند الوزير

بخير فى الديوان فأمر برده الى منصبه وانجلت عنه غياهب الحرمان وعند فراغ الشيخ فى صبيحة هذه الليلة من عبادته سعى الى خدمته على حسب عادته فتعذر عليه الوصول الى الجناب بسبب ازدحام الحمير والبغال والخيل على الباب ولما أعياه ذلك وضاقت عليه المسالك قال لبعض الخدم وكان اسمه كعب ابن قدم كيف السبيل الى لقاء السيد الجليل فقال مستهزأ به وقد رجه بالعصى وضربه على كتفيه بالعصا من أنت أيها الحقير حتى تحظى بمقابلة الرئيس الخطير انى أظن ياسخيف العقل انك مجرد عن حلية الفضل أيخطر ببالك أنه باق على عهده القديم أو انه يجد وقتا يستغرقه فى منادمة النديم أماعلمت ياخرفان أنه تحوّل من شان الى شان وأنه أماط عنه جلباب التواضع والفتور واستعد لمباشرة الامور وقد أهمل الرفيق وتغافل الاعن الرحيق فقال له الشيخ كذبت فيما ادعيت ولاجرم انك عليه افتريت وسأقص عليه خبرك ليقطع من الدنيا أثرك فقال الخادم ياشيخ الضلال سترى أن مثلى ما كذب ولا افترى وكان الاقرع قد تعب من طول مدة الوقوف فرجع الى داره بالخيبة والكسوف وبمجرد دخوله من العتبه قال له ابنه أبو رقبه ياأبتى ان الراتب ماأتى به فى هذا اليوم وإنه لاقدرة لنا فى الليل والنهار على الصوم فسكت الشيخ على مضض وقد اعتراه من شكوى ولده المرض

لان

لان عائلته لما كانت كثيرة العدد كان لا يبقى من مرتبها اليومى أدنى شئ الى غد ويقال أنهم باتوا فى هذه الليلة بلا زاد وان أحوالهم قد تبدلت بعد الصلاح بالفساد ثم انتبه الشيخ من نومه ونهض فى يوم الاحد الى ملاقاه مولاه الاوحد فلم يصل بأى حيلة اليه لكثرة الازدحام عليه وقد استمر على ذلك أربعة أيام مضت عليه كأنها لطولها أربعة أعوام وخطر بباله فى اليوم الخامس أنه يدخل عليه وهو فى الديوان جالس لعله يفوز من الاجتماع معه بعد الوحشة بالاستئناس فانتهز فرصة استراحة الحراس وأيقن أنه بزعمه أتقن الحيل واندفع فى قاعة جلوسه على عجل وتأمل فيها فوجدها ملونة الجدران واسعه وهى لانواع الطرافة والزخرفة جامعة وشاهد فى صدرها شبحا كأنه أسد أوأدميا مشوه الخلقة كالرصد وقبل أن يدنو منه ويفوز بالقصد سمع منه صيحة كالرعد فانقلب على ظهره وسحبوه وطرحوه على الارض وضربوه وقال له زعيم الاعوان نذير موبخا له على فعله النكير لك الويل ياأغبر يامهين ياقبيح المنظر كيف خاطرت بنفسك وتجاريت على ارتكاب مايسوقك الى رمسك ثم تفل فى وجهه وصفعه وقال على أبيك اللعنة وعليك معه اذهب لا كنت من حيث أتيت وان رجعت بعدها الى هذا البيت أشبعناك ضربا ودفناك بالحياة غصبا تبا لك ياسلالة الانذال وياحثالة أسافل الجهال

كيف تسعى بقدمك الى اراقة دمك فلما انفلت الشيخ من أيدي الاعوان اللئام وقد خف عنه بعض ما كان يجد من الآلام أخذ يمشي الهوينا حتى انتهى الى منزله عند الغروب وهو في ارتباك وقد أشرف من الضرب بالسياط على الهلاك ودخل على زوجته وشعثه هائل والدم من رأسه سائل فقالت له من فعل بك هذا يا ابن شعلان قال فعله جماعة من الاعوان بعد ما أفرطوا في السب واللعن وأوعدوني ان لقيني أحد منهم بالطعن فقالت له لعلك ماعرفت لزعيمهم حقه ولا استعملت معهم في كلامك الرفق فعوقبت على قلة أدبك بما أودى بك الى سوء منقلبك وأنه يجب عليك مع فقرك وزيادة فاقتك وعسرك انك يا أقرع بالنزر اليسير تقنع فقال لها اني دخلت في قاعة الرئيس الهمام لزعمي أني له من جملة الخدام فسحبوني على وجهي قهرا وعاملوني بضد عدل كسرى هنالك نسيت بما ناله من العذاب الاليم ما كانت فيه مع عائلتها من النعيم وتمثلت وهي على جمر الغضى بقول من مضى

أيا ويح دهر منه قد عدم الوفا * فما ينقضي فيه لراجيه مأرب
يكدر عيش المرء بعد صفائه * وان ما كساه ثوبا من العز يسلب

ثم قال لها يا حليلتي ويا صاحبتي وخليلتي ان هذا الرجل قد غدر بي ومكر وجعلني عبرة لمن اعتبر وانقطع عنا كما تعلمين الراتب وزحفت الينا جنود النوائب فاخلعي مع البنات

البنات ماعليكن من الباس ولنقل بأجمعنا اللهم ياشديد الباس أشدد وطئتك عليه وأفصله عن منصبه ولاتنظر اليه وليكن ذلك سريعا معجلا لابطيئا مؤجلا

لعـــن الله من يرى الضرللنا * س ويسعى فى كشف حال الخلائق
رب فانزل عليه سوط عـذاب * وأرمه الآن فى أشد المضايق
وأذقه نكال بطشـــك واصرم * عمــره فى دياره بالصواعــق
ياشديد المحال شــدد عليه الـ * كرب وانصب له شباك العوائق

وكان دعاؤهم عليه كل ليلة فى وقت الفجر فاستجاب الله منهـم فى عامهم وقضى الامر ومنع عن مباشرة وظيفته بعد احالته على خليفته وكان السبب فى ابعاده على ماقيل فى هذه المره هو انهم رموه بقتل خادمه سكران بن خمره لادعاء بعضهم عليه أنه جمع ماجمع من الرشوه وصرفـه فى سبيل اللهو والصبـوه ولما عاد الى ما كان فيه من الضـيق والكرب وكان فى هـذه الدفعة قـد انتقم من الحساد بالضرب أغضب الصـديق والجار وفى حكمه على الجميع جار فازداد عليـه حنق العاقل والاحمق ونظر اليـه كل واحد منهم بعين العدوّ الازرق وبعد أن مكث فى سجنـه نحو شهر يتقلب وحـده على الجمر تذكر الاقرع ابن شعلان الذى كان يأتيه بالاخبار فى بعض الاحيان وكان هـذه الشيخ عنـد ذلك يقول وجسمـه من السغب فى نحول

ليت شعرى هل يسمح الزمان النميم بالقرب من سـدة الرئيس

الكريم ويسالمنى بعد ما فعل فعلته وغير فى عبادة الاخلاص قبلته وأبى إلا أن يصفعنى بخفه ويطأ عنقى بظلفه وتحول معى من الأدب الى السفاهة والقباحه ومن اللين الى الصعوبة والوقاحه وبينما هو يلهج فى كيت وكيت ويتعلل بلو وليت ويقول هيهات هيهات أن يرجع مافات اذ دخل عليه بشير غلام الرئيس الخطير وكان قد بعث به الى هذا الاقرع فانطلق الى منزله كلمح البصر أو أسرع وقال له بعد السلام والتحيه أجب مولانا صاحب السدة السنيه وكان الشيخ لا يعرف هذا الغلام مليح الصورة رشيق القوام فقال له ومن هو هذا الامير الذى تدعونى لمقابلته واليه تشير فقال هو سيدك ونصيرك وعدتك فى شدتك ومجيرك وانى أيها الشيخ الفقير أعتذر لك عنه فى التقصير وقد جاء معى أخى عنبر وهو واقف إمام بابك الاكبر فلثم الشيخ يده اليمين وقال له مرحبا بك أيها الأمين وكان الغلام قد هيج فيه شهوة الطمع وأعطاه من النقود كمية اندفع بها عنه الوجع ووعده باموال وضياع ورفاهية أحوال ومتاع فلم تكن الا هنيهه من الزمن أو لحظه حتى نال الشيخ من هذا الطلب حظه وبمرافقة الغلام الى مولاه سمح وعفا عن دهره المسئ وصفح وبعد صلاة الظهر لبس أطماره البالية وتمنى مفارقة عيشته غير الحاليه وسار مع الرسول ولسان حاله يقول

ساخ

سامح زمانك ان أتى * بعد العناء مسالما
وأقبل معاذير امرئ * أولاك منه مكارما

فلما دخل عليه فى قاعة الجلوس ودنا منه بوجه غير عبوس وانكب على القدمين وقبلهما بعد اليدين قال له ما الذى قطعك عنى وأنت بمنزلة الروح منى فقال قطعتنى عنك السياط وحرمانى أنا وعيالى من المرتب للسماط فتأسف عليه وتألم وقال تالله ياأبا مريم انى مارأيتك من منذ عدة شهور مع احتياجى لك فى بعض الامور وانى ماأشرت الى أحد بضربك ولا أغريته على شتمك وسبك ولا أمرت بقطع الراتب بعد قيده فى سجل الكاتب فقال له ياسبحان ربى أما أنت الذى أشرت بضربى وأمرت بقطع معاشى وشق ريش رياشى فقال لا وحرمة مالك على من الخدامه ماوقع منى فى حقك مايوجب الملامه فان كان قد أصابك من الاهانه مايقضى بالانخفاض بعد علو المكانه فلا تحمله على الاستخفاف بمن هو دونك ولو من الاجلاف بل احمله على رداء ابليس الذى يستر به عين كل رئيس عند قيامه بوظيفة جليله لينسيه صديقه وخليله ويضرب الحجاب بينه وبين العدو والحبيب حتى لايميز البعيد من القريب فلما سمع الشيخ منه مقاله عرف أنه صادق المقالة وصفاله وقبل عذره وانقاد له وامتثل أمره وشرع على جرى عادته فى اتحافه بالاخبار فزال عنه بعض مانزل به من الاكدار

وضاعف له أرزاقه وحل منه الفقر وثاقه وكساه حلة جديده
وملأ بطنه الجائع بالثريد والعصيده وأقطعه ضيعة خصبه
ذات بساتين وعيون عذبه يقول ان غلتها لاتنقص فى كل سنه
عن مائتين من الدنانير المستحسنه ووعده أنه ان عاد الى منصبه
الفخيم وانجلت عنه دياجى العزل الوخيم كان أول داخل
عليه وآخر خارج من عنده وشاركه فى أمره ونهيه وحله وعقده
فعند ذلك قال له الشيخ بعدان أخذ عليه العهود سترجع الى
منصبك على رغم الحسود ثم تركه ومضى الى البيت يعدو
على رجليه كالجواد الكميت وقال لزوجته أيتها الوليفه ان
الرجل تاق الى الوظيفه فاستعدى للدعاء له لا عليه عسى يعود
منصبه اليه فقالت له إنه ماعرف لك هذه المنقبه لما سالمته
الايام وجلس على المرتبه واننا لانزال بخير مادام هو فى ضير
وقد رأيت بالامس مافعله فقال لاتثريب عليه يغفر الله له
ثم دعا فأجيب بعد مدة من الزمن الى ماطلب وفاز الرئيس من
دعائه بالارب وكان الشيخ قد احتال حتى خرق سقف مخدع
ظريف فى الطريق الموصلة الى الديوان المنيف وانتظره الى
أن ركب ومن تحته عبر فادلى من الخرق رداء حجب بصره عن
النظر فانزعج الرئيس وقال وهو فى حالة الخوف ماهذا المسلم
الذى حل منى الجوف فقال له الشيخ يامولاى لابأس عليك
هذا ردائى قد سبقت به اليك حتى لايتمكن ابليس من وضع
ردائه

ردائه على وجهك المهاب وأعود أنا الى ما كنت فيه من العذاب فلما عرفه ذهب عنه الروع والاضطراب وأنزله من الخدع وقربه منه كل الاقتراب ووصله واتصل به غاية الاتصال وعاش معه فى أرغد عيش بلا انفصال حتى أدركه الحمام بعد ثمانية أعوام ولم يزل أولاد هذا الشيخ من بعده رافلين عند الرئيس فى حلل رفده ناطقين بشكره الا أن ثوى بقبره تغمده الله برحمته ورضوانه وأسبغ عليه النعم السرمديه فى جنانه ومتعه فيما بها من القصور بوصال الحور الفائقة فى الحسن على تمام البدور

(المقالة السادسة)

(فى لص حليف انصاف حميد اخلاق وأوصاف)

قرأت فى صحف الاوائل من أخبار بعض القبائل حكاية عجيبه ورواية فى بابها غريبه غردت بها العنادل والبلابل على أفنان بساتين مدينة بابل وهى انه كان بهذه المدينه ذات الاسوار العالية الحصينه لص حليف انصاف حميد أخلاق وأوصاف كان اذا الجأته الضرورة الى القوت وتسلق على جدران بعض القصور والبيوت لا يأخذ منه لغذاء العيال سوى مؤنة ثلاث ليال ليكون فيها منعم البال لا يذوق مرارة السؤال فكان لسان حاله ينشد اذا لامه لائم أو فنده مفند

خبرت الناس قرنا بعد قرن * فلم أرغب غير ختال وقالى
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما طعم أمر من السؤال

وقد اتفق له ذات يوم انه نفذ ما بيده واحتاج الى ما يسد الرمق في غده فخرج من داره في الصباح راجيا الحصول على الرزق المتاح فصادف في طريقه شابا ثيابه نظيفه معتدل القامة ذا روح خفيفه فاقتفى منه الأثر وتوهم انه بلغ الوطر ولا زال يسعى خلفه ويرعاه ولا يعلم انه خاب مسعاه حتى انتهى الى باب جسيم على سور مرتفع عظيم فعزم على انه يختلس منه ما يكفيه مدة من الدهر لاتنقص أيامها في الحساب عن شهر فلما جن عليه الليل وسجى واشتد ظلام الدجى أخذ سلم التسليق وركب متن الطريق وقصد هذا الباب فوصل اليه بسرعة دونها سرعة السحاب وطرح سلمه من الخارج على حائط الدار وصعد على أعلاه بدون انتظار ثم ادار سلمه المذكور الى الداخل وثبته وانحدر عليه الى أسفل كالقضاء النازل ولما استقرت على الارض قدمه ندم حيث لا ينفعه ندمه لانه مد بصره يمينه وشماله وامامه فرأى فضاء كفضاء تهامه ولم يجد به سوى قاعة صغيره بل عشة من الاخشاب حقيره فتوسطها على سبيل الاستيعاب فألفى بها على حبل أقمشة الشاب وشاهده مضاجعا على التراب لعجوز لا يسوغ النظر اليها ولا يجوز

وقائل قد قال ماسنها * فقلت مافى فمها سن

فأطرق برأسه هينهة وذهب وفؤاده قد شب به حريق اللهب وفى الحال صعد على المعارج وانقلب من الداخل الى الخارج وتعثر فى أذياله واكتفى من الغنيمة بخيبة آماله وعلم أن صاحب المال لايتسربل فى الغالب بسربال شعر

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه

وسارع بالخيبة الى داره فتوارى بها قبل تنفس صبح نهاره ثم خرج منها قبل الزوال وآلى على أن لايقتفى متقمشا من الرجال وبينما هو يمشى فى أضيق زقاق اذ رأى شيخا التفت منه الساق بالساق وهو خفاشى العينين محدودب الظهر عريض الكتفين له لحية طويلة قذره وجلابيب رثة محتقره وعلى رأسه عمامة بالية كبيره وبيده اليمنى عكازة قصيره فتبعه على الاثر ولم يزغ عن رؤية البصر حتى دخل من فرجة باب منخفض العتبه فى دهليز كأنه لطوله واتساعه رحبه هنالك خلى سبيله وانصرف والى خارج الازقة عن المدينة انحرف وصبر الى النصف الاخير من الليل وانحط على منزل هذا الاحدب انحطاط السيل وعلا على الجدران حيث اعانه المقدور والامكان وعطف على قاعة مزخرفة الصناعة فصادف فيها سريرا من عمل الهنود على قبة من الحرير نادرة الوجود فدنا منه وتأمل فيه فعاين فيه فتاة جميلة مضاجعة

السفينه وأبصر عندرأس هذا السرير الفريد عشر مفاتيح صغيرة من الحديد فأخذها وانساب فى الاروقه كأنه النار المحرقه فعثر فى جهة اليسار على رواق فيه عشر صناديق كبار ففتحها واحد بعد واحد بالمفاتيح فاضاءت له النقود من داخلها كالمصابيح وبذلك انجلت عنه غياهب الغمه وسجد شكرا لله على هذه النعمه وأنشد

والله لولا الله سبحانه * لقلت للفضة سبحانها
لو كان الفضة فى جرة * حركت الجرة آذانها

ولكنه عدل عن طريق الاسراف وقسم هذه الصناديق قسمة انصاف فنقل خمسة منها الى منزل الشاب الفقير وحمل الفتاة وطرحها بجانبه على الحصير وساق العجوز الى الشيخ الكبير ووضعها بجواره فى القبة على السرير

فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الالها

واختص من الصناديق باثنين وترك ثلاثة منها بلامين وكان من عادة هذا الهرم مع الصبيه انها تتعهده بالدلك حتى يستيقظ من نومته الهنيه فلما كان فى صباح ليلة ذهاب الكنوز واستبدال هذه الصبية بالعجوز انتبه الشيخ من كراه والتفت الى وراه فرأى جيفة فى موضع الوليفة فوكزها برجله فى صدرها وكزة هيأتها الى قبرها وسحبها على وجهها وهو مذموم مدحور وألقاها فى حفرة مرحاض مهجور ثم تفقد ماله

فوجد

فوجـد سبعة من الصـناديق قد عـدمت فهوت أركان قواه وهدمت وطارلبه وانخلع قلبه وبكى لذهاب الزوجة والعين وسخط على الزمان ولعن غراب البين

اف للدنيـا اذا كانت كذا * أنا منها فى بـلاء وأذى
ان صفا عيش امرئ فى صبحها * جاءه الامس بما فيه القذى
ولقد كنت اذا ماقيل من * أنعم العالم عيشا قبـل ذا

ثم حلق لحيته وغـير حليته ودار فى الازقة ليعثر على من فعل معه هذه الدقة وأما الشاب المتعفف الذى كانت ثروته على يد اللص المنصف فانه كان يترك العجوز كانها من نومها فى رمس فلا تنتبـه الا اذا أحرقتها حرارة الشمس فلما كان فى فجر تلك الليـلة السعيدة استشعر بيـد رخصة تباشر جسده بالدلك فتوهم أنه فى منام ثم فتح عينيه فزال عنه الشك وقال لهـا من أين أقبلت ياقرة العـين وهـل أنت أنسـية أم من الارواح الجنيه فقالت له وهى باسمه وقد وثبت على قدميها قائمه طب نفسا فانى ازددت بك أنسا وانى هدية من الله اليك قد أنعم بى عليك وأنا من خيار الانس بلا محال ولا أدرى من ساقنى اليـك فى هـذه الحـال حتى أقوم له بالشكر وأدعو له بطول العمـر لانى وان كنت على فراش من حرير وحولى من الجوارى جم غفير الا انى كنت فى حبائل شيخ يدعى انه ابن سبعين وعهدى به أنه تجاوز التسعين ثم التفتت ذات

اليسار وقالت له ابشر بالغنى واليسار فهذه الصناديق الخمسة من مال ذلك المهين وانما هى شطر ماله باليقين ولقد نظر الله اليك بعين الرضى وانقذك من غائلة الفاقة بالقدر والقضا فان كان هذا السور فشيدلنا من داخله أبهج القصور وأغرس حوله ماتشاء من الزهور ولاتخف صولة الفقر فقد تيسر لك الامر فلما سمع منها مقالها وفهم سؤالها بادر الى البناء والنجار فشيداله القصر فى مدة لاتزيد عن شهر واشترى مااحتاج اليه من الأثاث مايكفى للخدمة من الذكور والاناث وعقد عقد النكاح على شمس الصباح وبنى بها فى ليلة جمعه بقاعة أوقد بها ألف شمعه ثم شمر عن ساعد الاجتهاد فى التجارة ففاز منها بما أراد وكان رئيس التجار فى ذلك الوقت قد رمى من المرض بسهام السقام والمقت وارتحل من دار الفناء الى دار البقاء والهناء فقلدوا الشاب المذكور بهذه الرياسه لما عهد فيه من حسن السياسة وكان الشيخ قد عرف بالتجسس الشديد والتفحص الاكيد أن زوجته وماله عنده هذا الغريم لامحاله فاستعدى عليه الحاكم وقال أجرنى من هذا الظالم فلما بعث اليه الأعوان وجاؤا به الى الديوان وهم بسؤاله وطرحه فى مهاوى أهواله وثب اللص وثبة الأسد الكاسر وقال أنا غريم هذا الخاسر فخلوا سبيل الشاب وخذوا منى الجواب وقص على الحاكم القصه وأزال عن التاجر الغصه وسأل الشيخ عن الشيخه

الشيخة فأنكر وجحد وقال مالى بها علم وحق الواحد الاحد فكذبوه وهجموا عليه فى داره بلااذن منه ولاتراض فألفوا رمة العجوز فى المرحاض فأحاطوا به وقبضوا على أطواقه ولم يتأخروا عن شد وثاقه وقادوه حقيرا ذليلا الى ولىّ الامر بعدما ضبطوا أمتعته بالغلبة والقهر واعترف فى حضرة القاضى بالقتل فاستحق القصاص وحكم عليه بالموت الذى ليس عنه مناص واستتاب الحاكم اللص المنصف بعد أن ربط له على الخزينة مايقوم بكفاية المتعفف وأنعم عليه بمنزل المقتول وكانت هذه الحادثة الغريبة سببا فى بلوغ المأمول

بذا قضت الأيام مابين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

(المقالة السابعة)

(الوفاء مليح والعذر قبيح)

اتفق لرجل مكين من مدينة بكين أنه ساح فى الامصار وطاف بمدينة الانصار فصادف فى الروضة النبويه رجلا من فقراء البريه تلوح عليه شيمة الاتقياء مع انه من الفجرة الاشقياء الذين لايحفظون لاحد ذمه ولا يرعون له حرمه

شخص خبيث لو طلبت اسمه * من أحد يوصف بالضن
بادر فى الحال الى كشفه * وقال عفريت من الجن

ففرح به بعد المسامرة غاية الفرح واتسع صدره لمرافقته

وانشرح

لا تعاشر كل من أبصرته * ربما استأمنت جهلا من يخون
ولكم غرك سمت ظاهر * تحته من قلة العقل فنون

وبعد ان فاز بزيارة سيد الأنام ونال من البركات النبوية فوق المرام وتمثل فى مدحه عليه صلوات ذى الجلال بعد لثم اعتابه بقول من قال

ألا يارسول الله ياأشرف الورى * ويابحر فضل سيبه دائم المد
لأنت الذى فقت النبيين رفعة * من الله رب العرش مستوجب الحمد
يناجيك عبد من عبيدك نازح * عن الدار والاوطان والاهل والولد
ويسأل قربا من جنابك جد له * بقرب فقرب الدار خير من البعد
ليلثم أعتاب المسجد الذى * به الروضة الفيحاء من جنة الخلد

ثم قفل من هذه المدينة المنيفة الى مكة الطاهرة الشريفة

فارقت طيبة مشتاقا لطيبها * وجئت مكة فى وجد وفى ألم
لكن سررت بأنى بعد فرقتها * ماسرت من حرم الا الى حرم

وكان قد استأنس بهذا الشيطان وغمره من بحر كرمه بالاحسان ونشله من أوحال الشقاء والامتهان واتخذه صديقا له وقدمه على سواه من الاخوان

الارب من تحنو عليه ولو ترى * طويته ساءتك تلك الضمائر
فلا تأمنن خلا ولا تغتر به * اذا لم تطب منه لديك المخابر

فلما خرج من طيبة فى يوم الخميس تعلق بأذياله هذا الخسيس فأخذه

فأخذه برفقته وحله من قيد الفقر وربقته وكان هذا الرجل حافيا مكشوف الرأس عاريا فاكتسى وانتعل وامتطى متن جمل

قالت أراك مع الانذال تصحبهم * ومن يصاحبهم فى عمره يهن
لايصحب المرء الا من يوافقه * متى رأيت الظبا والأسد فى قرن
أجبتها مظهرا عذرى ومنشدها * بيتا به تضرب الامثال فى الزمن
يقضى على المرء فى أيام محنته * حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

لكن لاتصاف اللئيم ابن الغبيه بخبث الطويه كان لايغفل على الدوام عن إضرار ماتقع عليه عينه من الخاص والعام ولاغرابة فى ذلك ممن ليس له عهد ولا ذمام لان أصل العداوة اصطناع المعروف الى اللئام

كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق اخلاقا الى حين

فأضمر فى نفسه الغدر لهذا السيد الجليل القدر

أعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل
فانما رجل الدنيا وواحدها * من لايعوّل فى الدنيا على رجل

وعوّل على قتله لاجل الاحتواء على مافى رحله

لعمرك ماالمعروف فى غير أهله * وفى أهله الا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذى كان عنده * ومستودع ماعنده غير ضائع
وماالناس فى شكر الايادى وشكرها * الى أهلها الا كبعض المزارع
فمزرعة أجدت فضوعف زرعها * ومزرعة أكدت على كل زارع

وكيف يثمر غرس المعروف   فى أرض لئيم بالغدر موصوف

ومن يصنع المعروف فى غير أهله * يلاقى كما لاقى مجير أم عامر
أعدلها لما استجارت ببيته * أحاليب ألبان اللقاح الدوائر
وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

فلما جن الليل   وصمم الخبيث على طرحه فى حفائر الويل
تفرس فيه الخادم   أنه على الشر عازم   فتدبر بعقله أنه ينبغى لمثله   أن لا يتركه يركض فى مضمار جهله   بل يجاريه فى ميدان جده وهزله   ويوهمه أنه موافق له على ما أراد   حتى يقف منه على حقيقة ما دار فى خلده من الفساد   فلما عرف كنه ما نوى عليه وجنح قلبه اليه   اختلى بمولاه وأخبره بالواقع   وجاءه فى إخلاصه بالبرهان القاطع

أخلق بمن رضى الخيانة شيمة * أن لا يرى الا صريع حوادث
مازالت الآراء تلحق بؤسها * أبدا بغادر ذمة أو ناكث

فشكر السيد غلامه   ووعده بمضاعفة مرتباته وأرزاقه   وقال له يا بنى لا تجزع   فالباغى له مصرع   وانه سيرمى بسهام كيده فى نحره   ويلاقى عما قليل عاقبة شره   ثم أخذ حذره من هذا الوغد الزنيم   والعدو الاحمق اللئيم   وأظهر له أنه نام   فصبر حتى انسدلت أستار الظلام   وثار هذا المهين   ثورة أسد العرين   واستل بيده خنجره   وقصد من المنعم عليه الحنجره

ودنا

ودنا منه وكاد أن يطعنه ولم يعلم أنه لم تأخذه سنه فوثب عليه وثبة الهاصر وهو لسيفه من غمده شاهر وهجم عليه وضربه بصفحها على صدره فسقط منه الخنجر وانقلب على ظهره هنا لك انقض عليه الخادم قبل استوائه على قدميه وربط بعمامته من ورائه يديه وعوّل على أتلاف مهجته قبل نهوضه من وقعته ونوى على أنه يعدمه الحياه ولاينتظر فيه أمر مولاه ويعمل بضد ماقال القائل في هذا الخائن الجاهل

اذا ما الظلوم استحسن الظلم مذهبا * ولج عتوّا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الزمان فانه * سيبدى له مالم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمرّدا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته * أناخت صروف الحادثات ببابه
فأصبح لامال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات سطرت في كتابه
وقابله الجبار منه بفعله * وصب عليه الله سوط عذابه

فنهاه سيده عما عليه عزم وقال له لاتعجل على هذا البرم (البرم بالتحريك اللئيم) ثم التفت الى هذا اللعين وقال له ماالباعث على هذه الخيانة وأنت أمين فقال مجيبا له بلعثمة وتلجلج لسان يامولاى ماحملنى على هذا الا وسوسة الشيطان وهو الذى أنسانى ذكر ما أسديت من الحسنات وكاد لولا رجاء عفولئ يسوقنى الى الممات

أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل

فان عفوت فمنّ * وان جزيت فعدل

ثم رفع اليه رأسه وهو فى خجل من خيانته وقال متمثلا بقول من اعتذر عن جنايته

يامن أسأت وبالاحسان قابلنى * وجوده لجميع الناس مبذول
قد جاء عبدك يامولاى معتذرا * وأنت للعفو مرجوّ ومأمول

وبعد ذلك أرسل العبرات وأنشد وهو مصعد الزفرات

أسأت ولم أحسن وجئتك هاربا * وأين لعبد من مواليه مهرب
يؤمل غفرانا فان خاب ظنه * فما أحد منه على الارض أخيب

فلما سمع ماجاء به من مقاله أمر باطلاقه ورثى لتذلله فى سؤاله وأعطاه ماتيسر من النقود وقال له اذهب من حيث أتيت يا كنود (الكنود كافر النعمة) واياك بعد هذه المره أن تضمر الغدر لابن أمة ولا حره واحمد مولاك على السلامه واعمل من الآن فصاعدا الى يوم القيامه ثم أشار الى غلامه فزوّده بطعام وقال له انصرف عنا بسلام فقبل يده ومضى وفى قلبه من عدم نجاحه جمر الغضا ولما غاب عن الابصار وانفرد فى البيداء عن العبيد والاحرار حدثته نفسه الامّاره بان يشن على منقذه من الهلاك الغاره وبينما هو يجول كالمجنون فى القفار ويميل تارة ذات اليمين وطورا ذات اليسار اذا رأى على باب مضيق ثلاثة من قطاع الطريق

ان ضاق بى بلد عمت لى بلدا * وان نأى منزل بى كان لى بدل

وان

وان تغير لى عن وده رجـــل * أصفى المودة لى من بعده رجل
لم يقطع الله لى من صاحب أملا * الا تجدد لى من صاحب أمل
فدنا منهم بلا خوف ولا وجل وقال لهم اقتفوا أثرى على عجل
لتحظوا بالمال الجزيل بعد قتل رجل جليل تركته فى البيداء
مع خادم جبان وسبعة من الجمال وبغلة وحصان فطاروا
اليه معه طمعا فى الاكتساب والسعه وكان الليل قد أقبل
بغياهبه والنهار تحول بكواكبه عن تنوير مشارقه ومغاربه
وقد نزل السياح مع خادمه على رأس الدرب للراحة من التعب
وعبادة الرب فقبل استراحته هجموا عليه وزعموا أنهم وصلوا
اليه فلم يأخذه منهم فزع ولاخوف ولاجزع لانه كان فارس
الارض فى طولها والعرض بل ثار عليهم ثورة الاسد ووقف
لهم كالسد فى الطريق الاسد فقرب منه الاول وهو على قتله
قد عول فلاقاه بدون اكتراث ولاوجل وضربه بالسيف على
رأسه فكاد يصرم منه الاجل ففر هاربا من بين يديه ولو
ثبت أمامه لقضى عليه ثم عطف على الثانى بلا مهل ولاتوانى
ووكزه برمحه فى أحشاه فتبددت أمعاه ومال الى الثالث كابى
الحارث (كنية السبع) وطعنه فى احدى عينيه بالعسال فتركه
عبرة للامثال وأراد الخائن أن يلفت العنان وينفلت من قبضة
الهوان فلم يدعه الخادم دون أن حمل عليه وقبض بيديه
على احدى رجليه وأدركه مولاه فألقاه على قفاه وربط

أطرافه بعمامته وتمكن منه الخادم فأفرط فى صفعه وملامته
واستأذن سيده فى جذ راسه واستئصال شأفته وخلع اضراسه

الشر مصراع له سطوة * تستنزل الجبار من عرشه
وأنت ان لم ترج أو تتق * كالميت محمول على نعشه
لا تنبش الشر فتبلى به * فقلما تسلم من نبشه
اذا طفى الكبش بلحم الكلى * أدرج رأس الكبش فى كرشه
لله فى قدرته خاتم * تجرى المقادير على نقشه

فقال له اصبر ولا تعجل وعن منهج الحلم لا تتحوّل ثم نظر الى
هذا الاسير المهين الغدار الحقير نظرة الغضب وعبس فى وجهه
وقطب وقال له ويلك يا نسل الاوغاد وحثالة غير الامجاد
كيف قابلت الحسنة بالسيئات ونسيت ما فات لاقتلنك شر قتله
ولاجعلنك لقطاع الطريق مثله ولاصلبنك بين الوهاد ليعتبر
بك الرائح والغاد فقال له يا مولاى ذنبى عظيم وجرمى بلا شك
جسيم وانى بما فرط منى مستحق لعدم الصفح عنى الا أن
طمعى فى مكارم أخلاقك وحلمك وثقتى برأفتك وحزمك حملاتى
على التمسك منك بأسباب الخلاص مما ليس عنه محيص
ولا مناص

لا شئ أعظم من ذنبى ومن أملى * لعفوك اليوم عن ذنبى وعن زللى
فان يكن ذا وذا عندى قد اجتمعا * لانت أعظم من ذنبى ومن أملى

فبالله يا حميد الاوصاف ويا محيى سنة الاشراف الا ما عفوت فى
هذه

هذه الكره عمن وسوس له أبو مره
أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولولم يكن ذنب لما عرف العفو
فقال الغلام اقطع من الحياة حبل الرجا فليس لك بعد هذا سبيل الى النجا وامتشق خنجره وعليه صال وكاد يجرّعه كاس الوبال لولا أن سيده أشار اليه بالكف عن التعجيل عليه بالحتف وقال ياعدوّ نفسك قد عفونا فى هذه الدفعة عن جنايتك وأغضينا عن خيانتك فاذهب الى حيث أردت من البلاد واياك والتعرض لضرر أحد من العباد ثم أمر باطلاقه من وثاقه وقال له ان عدت الى سوء فعالك ورجعت الى خسة أصلك محوت منك الاثر وجعلتك عبرة لمن اعتبر فقبل بين يديه التراب وانساب انسياب الماء من السحاب وبعد انصرافه بنحو ساعة من النهار امتطى السياح متن الطريق فى القفار وواصل السير بلا نصب ولاضير حتى اذا لم يبق بينه وبين مكة الشريفه سوى مرحلة عزم على أخذ راحة خفيفه فلما نزل وضربت خيامه وهيأ له الطعام غلامه مدّ بصره الى جهة الامام فرأى خمسة من قطاع الطريق اللئام ومن ورائهم الخبيث الذى سلف فى حقه الحديث فافرغ على نفسه لامته وأحضر له خادمه كنانته وأوتر قوسه فى الحال وكان أرمى خلق الله بالنبال فطلب القوم على الفور كأنه عنترة أوأبو ثور ورمى أول الخمسة فى فؤاده فهوى قتيلا

من صهوة جواده وألحق بالثانى الثالث وأصاب الرابع المسمى بالحارث وهرب الخامس وهو من الحياة يائس وسمعه الخادم وهو يذم الزمان ويبكى على فقد الاخوان ويقول ليت هذا المشؤم اللعين المذموم ماالتقى معنافى الفدفد وساقنا الى هذا الفارس الاوحد وليتنا عصيناه ولا أطعناه وكنا عند مقابلته قتلناه وأما الخائن الغدار فبينما هو معوّل على الفرار اذانقض عليه الغلام ورماه ببعض السهام فأورده موارد الحِمام وصرم عمره وانقطع الخصام ووقف على مصرعه فسمعه يقول من فمه وهو مضرج على الثرى بدمه صرعنى البغى الوخيم وهوى بى فى مهاوى العذاب الأليم لانى عدلت عن قول القائل من حكماء الاوائل (الوفاء مليح والعذر قبيح)

﴿ المقالة الثامنة ﴾

(فى العودة من السفر بالمسرة والصفا وتهنئة أحد الاصدقاء بالشفا)

قال الحسن بن أبى الحسن المصرى الموصوف بالخلق الحسن لما سئل عما رأى فى غيبته باليمن وما شاهد فى تلك الدمن انى لشغفى بحب السياحه وولعى من عهد نشأتى بالملاحه قصدت فى بعض أسفارى مع الشيخ أبى اسحق جارى التوجه الى مسقط رأس الفقيه عماره الذى لقى بعد العاضد دماره وما أغنى عنه فضله ولا أدبه ونبله فلما نزلنا بساحة هذه البلاد

وجاورنا

وجاورنا من فيها من العُبّاد ألفينا بها فتية من أنصار العلوم وأكابر الاحبار المتميزين بالفهوم جنح الينا من بينهم بمعروف أريب معروف فيما بين أخدانه باللبيب فارسناه فى جميع الامور النافعه فاذا هو فى كل شئ منها باقعه وأعلامه فيها منشوره ومساعيه فى الخير مشكوره وسماحته حاتميه ونفسه شريفة عصاميه

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الكر والاقداما
وصيرته ملكا هماما

وبلاغته سحبانيه وشهامته شيبانيه وحكمته عبانيه وعقيدته إيمانيه وعدالته عمريه وهمته علويه وهو جدير بما تمثل فيه بعض واصفيه

ولو صوّرت نفسك لم تزدها * على مافيك من شرف الطباع

والواقع أنه مستحق لما به اتصف لانه فى وطنه أعلم الخلف وقد أقمنا معه من الاعوام أربعة فأنستنا مكارمه الزائدة من ابن زائدة وتذكرنا بحلمه وذكائه وفهمه ودهائه أحنف وإياس وعبد الحميد وأبا فراس وأخذنا عنه ماعلا الوطاب من كل معنى رقيق مستطاب ولما حنّت جوارحنا الى الاوطان وتاقت أنفسنا الى الاهل والخلان طلبنا منه الاجازة بعد الاستعداد لقطع المفازة وعند ماسمح لنا بالتحول عن هذه البقاع وسار معنا يوما كاملا للوداع وقفنا وأقسمنا عليه والدموع تنحدر

من أعيننا وعينيه   أن يرجع مصحوبا بالصحـة والنعم الشامله
وأن لايحرمنا فى أثناء غيابنا عنه من المراسله   ووعدناه أننا نعود
بعد عامين الى دياره   وأن لانبرح بارادتنا عن جواره   الا اذا
أذن بالرحله   ان كان فى الاجل مهله   وبعدان سلك كل منهما
طريقه   وتأسف كل الاسف حين فارق رفيقه   تمادى الحسن
وصاحبه على السير مع القافلة الى مكة المشرفة بلا ضير وكان
وصولهما اليها فى موسم الحج   فنالا بالوقوف على عرفة والعج
ماتقربه أعين المؤمنين   وتفرح به قصاد بيت رب العالمين   ثم
توجها الى زيارة الرسول   وبعد الفوز منه عليه الصلاة والسلام
بالقبول   تحولا عن هـذه البقاع   وركبا سفينة من سـفن
الشراع   ووصلا بريح طيبة الى مصر   فى يوم خميس بعد صلاة
العصر   هنالك أولمت الولائم   واجتمع فيها القاعد من الاقارب
والقائم وتوالى وفود الاحباب للسلام   مدة ثلاث ليـال وثلاثة
أيام وكان للشيخ أبى الحسن الاريب صديق ماهر لبيب وهو
صاحب وجاهـة شريف ذو همة عالية ومقـام منيف كان
لايفتر عن ملازمته طرفة عين قبل أن ينعق بينهما غراب البين
فلما حضر من غيبته   وازداد بهسرور عترته   وسعى الى زيارته
جميع الجيران   وجاءه سائر خلانه من أبعد مكان تخلف عنه
ذلك الصديق النبيل   والرفيق الذى هو نعم الخليل فسأل عن
هذا الوجيه   من أقاربه وذويه   فقيل له انه متوعك المزاج

الا

الا أن بضاعة صحته أخذت فى الرواج فقال الآن وجب السعى اليه والاقبال فى هـذا الوقت عليه ثم قام من مـنزله ومعه من جيرانه جماعة فى يوم الاثنين بعـد ثالث ساعة واستوى مع ثلاثة منهـم فى عـربه وأمر بسرعة السير ليبلغ أربه فطارت العربة بهم فى سكة معتدله بغاية ما يمكن من العجـله حتى وصلت فى هنيهة يسيره الى قصر فى وسط حديقة نضيره فنزل على الباب بمن معـه من الاصحاب وسأل الحاشية عن سيدهم المحترم بيت الشرف والعلم والكرم فقـال له أحـد الغلمـان إنه بعـافية وهو جالس فى الايوان قال الحسـن فلما أخذنا الاذن منه ودخلنا عليه وتمثلنا على الفور بين يديه قام واثبا على القدم وكان كأنه انحلال من السقم الا أنه كان قد أخذ فى النقاهه فقابلنا سريعا بالوجاهه وسلم سلام المشتاق وبث ماعنده من ألم الفراق ونبأ أنه كان يستنشق نسيم الاخبار فى مدة هذه الغيبة من السفار ولو زال عنه ما كان اعتراه قبل التلاق لسارع الى المقابلة فى جملة الرفاق فعند ذلك ضمه الى صدره وقبله فى عارضيه ونحره وبالغ فى الثناء عليه وفرح بتوجه الشفاء اليه وقال متمثلا فيه بما أبداه المتنبى فى سيف الدولة من معانيه

المجد عوفى اذ عوفيت والكرم * وزال عنك الى أعدائك الالم

صحت بصحتك الايام وابتهجت * بها المكارم وانهلت بها الديم

وراجع الشمس نور كان فارقها * كأنما فقده من جسمها سقم
وما أخصــك فى برء بتهنئــة * اذا سلمت فكل الناس قدسلموا

فلما فرغ من العناق وانتعشت الارواح بطى شـقة الفراق قال الشريف لابى الحسن أقسمت عليك يامعدن الفطن الا ماأقمت معى هنا بهذا البستان البديع أنت وعائلتك مدة فصل الربيع حتى نتناول كؤس السمر ونجتلى لذة المفاكهـة فى السمر فأنعم بلا امتناع وأجاب واجتمعت الاحباب بالاحباب ثم سأله عما سمع وما رأى فى بلاد الاجانب وما شاهد فيها من العجائب فقال اعـلم يامليح الشمـائـل وياصحيح الرواية فى الفضائل انى سمعت بأنه كان يوجد فى مدينة عدن من جملة عجائب الزمن شيخ من المعمرين سنه لاتنقص عن مائة وخمسين من السـنين وكان له عشرة من البنـين والبنات من خمس أمهات كانوا يتكلمون بكل لسان ويحفظون القرآن وينظمون الشـعر وينثرون الدر ولهم فى الآداب المؤلفات الفائقه والمصنفات البديعة الرائقه وكان كبير هؤلاء العلماء الاعلام من ذوى الجسارة والاقدام ويقال إنه خرج مع قافلة من بنى سعد فى سفر الى ناحية نجد فتعرض لهم فى الصحراء ليث هاصر وأسد عظيم الجثة خادر فدنا منه بشدة باس وقوة مراس ولطمه على أنفه فى موقف الخصام لطمة هائلة جرعه بها كاس الحمام وكان لهذا الليث لبوة وخمسة أشبال فأحاطت

به من جهتى اليمين والشمال ومن الخلف والامام فصدمها
صدمة بطل همام فقتل منها ثلاثة وهرب منه الرابع واقتفى
أثر أمه فى الفيافى والبلاقع فعدا خلف الاثنين على قدميه
كالجواد ورماهما بسهمين أودى بهما الى النفاد ثم كر راجعا الى
القافلة فقابلوه بمزيد الشكر والثنا ونشروا بين يديه أعلام
الهنا وجمعوا له من الاموال عدة وافره فردها اليهم قائلا
لهم انما أبغى ثواب الآخره وكان عمره اذا رأيته باليقين ينوف
على مائة وعشرين وهو مع ذلك حاضر الذهن سالم العقل
والبنيـة من الوهن اذا نطق أتى باحسان حسّان واذا كتب
سابق يراعه اللسان لايسأل الا ويحسن الجواب ويقول
فيصيب شاكلة الصواب ولقد رأيته يسأله سائل عن كثير من
المسائل وهو فى جمع غزير وجم غفير فكان مما قاله فى
السؤال وأجاب الشيخ عنه فى الحال أيها المولى المشهود
كيف تجمع أسماء الشهور فقال خذها على الترتيب ولا لوم
ولا تثريب تجمع على محرمات وأصفار وأربعة وأربعاء أوشهور
ربيع وجماديات وأرجاب وشعبانات ورمضانات وشواويل
أو شوالات وذوات القعدة وذوات الحجه وقد ظهرت المحجه
قال فكيف تجمع أسماء الايام فأجاب من غير تلعثم فى الكلام
تجمع على سبوت أو أسبته وآحاد وأثانين وثلاثاوات
وأربعاوات وأخمسة أو أخمس وجمع أوجمعات فلما سردها

سرد الاعداد وأجاد كل الاجادة فيما أفاد قبّل السائل يديه وقنا نتعجب لكثرة ماديه ولبث أبوالحسن فى حديقة الشريف الرفيع الى أن انقضت أيام فصل الربيع ثم انتقل بعياله فى شهر ذى القعدة الى منزله بخطة غيط العدة واستمر بينهما الوداد والمحبه الى أن قابل كلاهما ربه

(المقالة التاسعة)

(فى أحلام اللصوص وماجاء فيهما من النصوص)

قال ناظم السلوك نقلا عن خادم الملوك خرجت للصيد مع جماعة من الجنود فى ركاب صاحب الاعلام والبنود الليث الهصور والملك المنصور رب القلم والسيف المشهور والرأى السديد المشهور والعدل المنشور والسعى المشكور بطليموس الاكبر خليفة الاسكندر فاحتوينا من الغزلان والارانب والسباع الضارية والثعالب على مالايعد ولايستقصى ولا يحدّ ولشدة حرصنا على الصيد والقنص انتهزنا ماتيسر من الفرص وأطلقنا للجياد الاعنة وقومنا الاسنة وانتشرنا بلا ملال ذات اليمين وذات الشمال وفى أثناء ذلك غاب الملك المسكين عن أعين حاشيته وخادمه الامين فاهتموا فى خلال غيابه بالبحث عن جنابه فما وقفوا له على خبر ولا وقعوا له على أثر وكان قد توغل بالفدافد فى طلب المكاسب والفوائد

فانتهى

فانتهى الى أجمة ملتفة الشجر لا ينفذ منها لكثافتها النظر وبينما هو شارع فى التباعد عن أطرافها والفرار على الفور من أكنافها اذ ظهر له أربعة من اللصوص كأنهم كانوا كامنين له بالخصوص ودنا منه الاول باهتمام وقال له من غير ابتسام لقد تحقق لى ما رأيته فى المنام من أخذ هذا التاج والفوز بالمرام فانزعه بلا معارضة ولا خصام ولا تكثر على الدهر من الملام

التاج تاجى يا جليل القدر * فانزعه واقبل يا كريم عذرى
فقد رأيت اننى ملكته * فى النوم من بعد طلوع الفجر

ثم تقدم الثانى وقال له فى الخطاب تجاوز لى عما عليك من الثياب فقد قصصت رؤياى على بشير بن بشراى فنبأنى أنى أستحوذ عليها وأضيف نعالك اليها ثم أقدم وأحجم وقال وهو لا يتبسم

تلك الثياب يا عميد القوم * أخذتها منك ببعض حق
وذاك حسبما بدا فى النوم * لى فاعتمد فيما أقول صدقى

ثم انقض الثالث على جواده الادهم وقال انى رأيت فى المنام انى ملكت هذا المطهم فانزل عن صهوته بلا جدال وسلمنى عنانه فى الحال واياك والتوقف فى هذا الطلب حتى تأمن على نفسك من العطب

هذا جوادى وانى فى المنام بلا * شك ظفرت به فى ليلة الاحد
فدعه لى وانصرف بالنفس ناجية * من المهالك واشكرنى الى الابد

ثم وثب الرابع وثبة الاسد وشهر فى يده حسامه المهند وقال قد

طلب ماأراده كل واحد من الجماعة ولم يبق معك غير السلسلة والساعة وهما اللتان رأيت فى ليلة الخميس أنى انتزعتهما من صدرك يارئيس

هذه ساعتى وليس لمثلى * يارفيع المنار عنها محيص
فتجاوز عنها بغير نزاع * اذ على أخذها فؤادى حريص

عند ذلك قال له الملك الاجل لقد فزت ياهذا ببلوغ الامل بيد أن الصفارة الموجودة مع مفتاح هذه الساعة البديعة فيها سر لايدركه بلا موقف الا ذو فطنة رفيعة فادن منى حتى تعرف الحقيقة وتهتدى فى استعمال تلك الصفارة الى أحسن طريقة ثم انه قبض بيده على الصفارة المجاورة للمفتاح ووضعها على فيه وصاح فسمعت جنوده الصفير فهرع اليه منهم الكبير والصغير وأحاطوا باللصوص من كل مكان واستعدوا لطرحهم فى مهاوى الهوان هنالك قال الملك مخاطبا لهؤلاء اللئام وقد امتزج بالغضب وامتشق فى يده الحسام ياقطاع الطريق ومن ليس لهم فى الدنيا رفيق انى أرى فى اليقظة دون المنام أنى أشنقكم والسلام ثم أشار الى من حوله من الرجال بالقبض عليهم بلا محال فأجابوه الى ماأراد وملكوا منهم القياد وساقوهم الى مانصبوا من الاخشاب وأوقفوهم تحتها ووضعوا الحبال فى الرقاب ثم رفعوهم عن الارض بلا مهل وطووا منهم سجل الاجل واقتفى الملك بعد ذلك

ذلك من اللصوص الاثر وبعث بروح كل من وقع به منهم الى سقر فأراح من شرهم العباد ونشر لواء الامن فى جميع البلاد وبهذه السيرة الحميده صارت أيامه سعيده وأثنى عليه المؤرخون بما هو أهله وكيف لا وقد عم الانام عدله ومدحه شعراء زمانه بالمدائح الفائقة والقصائد النفيسة الرائقة التى منها

نشرت لواء العدل فى كل بقعة * وطهرت أرض الله من كل مفسد
ففزت ببث الشكر من خير أمة * وفقت على كل الملوك بمحتد

(المقالة العاشرة)

(فى مطاوعة النفس والنجاة بعد اليأس)

قال أبو المسرات ابن أبى المبرات انى لقيت شيخا من التجار عليه سكينة ووقار وله بين أمثاله منزلة رفيعة ودرجة سامية غير وضيعة وكان قد بلغ الثمانين وصدق عليه قول بعض السابقين

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

ولقد نشأ هذا الشيخ من مدينة الاهواز بين مشاء من ناسها وهماز وكان فى مبدإ أمره مجبولا على مطاوعة نفسه غير مكترث بغده وأمسه حتى إنه اتفق له فى زمن الشبيبة أنه رمى من حوادث دهره بمصيبة كانت نجاته منها سببا فى هدايته

وإقلاعه دفعة واحدة عن غوايته وما ذاك الا أنه خالف أمه وأباه في طاعة شيطانه وهواه ورحل مع قافلة من التجار الى مدينة الانبار وبينما هي سارية بالليل شاخصة بأبصارها الى سهيل اذخرجت عليها من مكان سحيق فرقة من قطاع الطريق وحلت عليها حلة الجبابرة بعد ما أحاطت بها كالدائرة فطرحت رجالها قتلى على الارض ولم تراع في حقهم السنة ولا الفرض واستحوذت على البضاعة وفقد كل واحد من أهل القافلة نفسه ومتاعه وكان أبو المسرات ممن أصيب بضربة في الراس فسقط على وجهه عادم الحواس وبقي بين الاموات مدة ثلاثة أيام كان آخرها أول العام ثم دبت الحياة فيه بعد سبع ولو زاد على ذلك لأكله السبع فلما فتح عينيه ورأى جثث القتلى حوله متراكمة استرجع وحوقل وطلب من الله حسن الخاتمة وحاول النهوض على قدميه فعجز وتعذر القيام عليه وبكى وأنشد في الحال وقد أيقن بالزوال

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديها
وقال أخاف عادية الليالي * على نفسي وأن ألقى رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

ثم أقبل على نفسه باللوم بعد ما تزحزح عن القتلى من القوم وآلى أنه إن سلم من هذا المصاب وتخلص مما هو فيه من أليم العذاب

العذاب لايخالف نصيحة أمه وأبيه بل يعيش بينهما عيشة الخامل دون التنبيه ويكف عن الاسفار ولايبرح عن فناء الدار وكان فى أثناء تضرعاته الى مولاه واستغاثته به سبحانه فى سره ونجواه يقول فى مناجاته لربه وهو متألم من جرحه معترف بذنبه

يارب هيئ لنا من أمرنا رشدا * واجعل معونتك العظمى لنا مددا
ولا تكلنا الى تدبير أنفسنا * فالنفس تعجز عن إصلاح ما فسدا
أنت العليم وقد وجهت من أملى * الى رجائك وجها سائلا ويدا
فلا تردنها يارب خائبة * فبحر جودك يروى كل من وردا

ولا زال يزحف حتى وصل الى ساحل البحر بعد صلاة الظهر قبيل العصر ثم وهت قواعد قوته وتداعى بناء بنيته فاضطجع اضطجاع الميت وترك التعلل بلو وليت وكان قد مضى عليه خمسة أيام ماتناول فيها شيأ من الطعام فغاب عن الوجود وكاد يلحق بقوم عاد وثمود وقال لسان حاله يشكو من صروف الزمان وأهواله

أبى الله ان يصفو زمانى ساعة * ويخلو ولو فى النوم مما يكدر
فنصبر لا طوعا ولا عن إرادة * ولكننا رغما عن الانف نصبر

وفى أثناء الاضطجاع عبرت بالقرب من الساحل سفينة شراع فوقع بصر رئيسها عليه فانجذب قلبه اليه ودنا بسفينته من البر فى الحين وأشار بالنزول الى اثنين من الملاحين وقال

لهما ان وجدتما الروح في هذا الشيخ المطروح فاحملاه على كاهليكما بلامهل وبادرابه إلينا على العجل لعله ينجو من الهلاك ويتخلص من غائلة الارتباك فامتثلا أمره وسارعا اليه وقربا منه وعطفا عليه وقبض احدهما على نبضه بعد ماتأمل في طوله وعرضه ثم وضع يده على صدره وجعل أذنه على فيه ونحره فتراءى له أن النفس يتردد فيه فرفعه على كتفه واستعان بأخيه وسعى به الى السفينة التى كانت كقلعة حصينة وكان فيها طبيب ماهر لبيب فعالجه حتى توجه اليه الشفاء وزال عنه السقم والعناء وصار يروح ويغدو بين الملاحه ويثنى على من ساق اليه صلاحه وبعد شهر كامل عادت إليه الصحه التى هى بلا شك أجل منحه بيد أن البحر اضطرب بعد السكون وأظلم الجو وزاغت العيون وهبت من الجنوب رياح عاصفة ولمعت بروق للابصار خاطفة وانحطت على السفينة أمواج كالجبال من الامام والخلف واليمين والشمال فدارت ثلاث دورات بلا انقطاع وهوت كلمح البصر الى القاع وبمصادفة القضاء والقدر قبض أبوالمسرات على لوح كان قد انكسر وأنشد وهو يتقلب فى أودية الخطر ويتململ من البرد والمطر

يارب مازال لطف منك يشملنى * وقد تجدد لى ماأنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

وقد

وقدمكث خمس ليال يعانى من البحر ماهوأمرّمن الصبر . وأشد حرارة من الجمر ثم قذفته الامواج فى اليوم السادس الى المينا المعروفة بابن قادس (١) وكان ذلك فى أول ليلة من شهر الصيام وقد وصل الى البر والناس نيام فوقع طريحا على الغبرا وكاد ينتقل من الدنيا الى الاخرى ولسان حاله يتمثل بقول من أحسن فى شعره وتجمل

أنوح على دهر مضى بنضارة * اذالعيش حلو والزمان موانى

وأبكى زمانا صالحاقدفقدته * فقطّع قلبى منه بالزفرات

أيازمنا ولىّ على رغم أهله * ألا عدكماقدكنت مذسنوات

تعطى علىّ الدهر فى متن قوسه * فصدّعنى منه بسهم شتات

ولما طلع النهار ووقعت عليه أعين النظار حملوه الى دار أمير المدينة المعظم وناطوا بعلاجه الطبيب ابن أبى محجم فتوجه اليه الشفاء بعد ثلاثة شهور واعتدلت صحته وحل بساحته السرور وأقسم بالله العظيم رب زمزم والحطيم انه مادام على قيد الحياة لايتبع شيطان هواه ولايطاوع النفس ولو ترتب على عدم مطاوعتها الحلول بالرمس وبعد أن تاب والى الله أناب خرج فى قافلة الى الحجاز ومنها وصل الى مسقط رأسه بمدينة الاهواز واجتمع فيها بأبيه وأمه وانصرفت عنه غوائل همه وانهمك على تحصيل المعارف حتى بلغ النهاية فى التالد والطارف وأضحى بين ابناء الزمان يشار اليه بأطراف البنان

(١) الغالب أن المقصود ميناء قادس أحد ثغور دولة الاندلس

وعاش بين أهله والعيال　حائزا لصفات الكمال

(المقالة الحادية عشر)

(في القيام بشكر الصنيعه　لمن له في المروءة الدرجة الرفيعه)

قال شبل ابن ليث　المكنى بأبي غيث　تاقت نفسي الى جوب الفدافد　واشتاقت الى رؤية الهياكل والمعابد　فخرجت على حالة الانفراد　شاكى السلاح على متن الجواد　وتماديت على قطع الفيافى　والترنم ببديع القوافى　مدة شهور　وأيام وكسور ولا زلت أنتقل من بلد الى بلد　ولاأعرج فى الرواح والغدو على أحد　حتى انتهيت الى مدينة　كبيرة آهلة حصينة فأودعت الحصان　عند صاحب خان　ثم سعيت الى المسجد الجامع　المعروف بضريح ابن شافع　وأديت فيه بالقصر　صلاة العصر　وبينما أنا أطوف فيه　وأمعن النظر فى نواحيه　اذ رأيت بلا لبس　حلقة درس　فى وسطها شيخ كأنه من بنى حام　وهو حسن القيافة معتدل القوام　وسمعته يلقى على الطلبة بأفصح لسان　تفسير قوله تعالى (والنجم والشجر يسجدان)　هنالك جلست فى هذه الحلقة لالتقاط بعض الفوائد واجتناء ماينتأتى فى العثور عليه من الفرائد　فما حفظته عنه وفهمته منه　فى تفسير هذه الآية الشريفه　بعبارة سهلة لطيفه أنه قال　موضحا مافى الآية من الاقوال

أخرج

أخرج ابن الانبارى فى الوقف والابتداء عن حبر الامة ونجم الاهتداء ابن عباس العالم بدقائق القرآن أنه لما سأله نافع عن تفسير والنجم والشجر يسجدان قال (النجم) معناه ماأنجمت الارض وأنبتت مما لايقوم على ساق من قولهم نجم ينجم بالضم فى الاشتقاق (والشجر) معناه ماأنبتته وقام على ساقه وظهر للعيان وأنشد مستدلا على ذلك بقول صفوان

لقد أنجم القاع الكبير عضاهه * وقربه حيا تميم ووائل

وأتبع هذا البيت ببيت زهير بن أبى سلمى الذى تنسب اليه الفصاحة وتنمى

مكلل باصول النجم تنسجه * ريح الجنوب كضاح مابه حبك

وهكذا يؤخذ من الدر المنثور للسيوطى فى التفسير بالمأثور وورد فى تفسير الامام الفاضل العلامة الجلى ابن عادل أن النجم هو نجم السماء المعلوم وسجوده هو الافول المفهوم والشجر هو شجر الارض المعهود وسجوده هو إمكان اجتناء ثماره التى هى غاية المقصود

والنجم فى تفسير المصرى الهمام هو مالاساق له ولا قوام والشجر المذكور فى المساق هو ماله ساق وسجود الاثنين هو عنده سجود ظلالهما بلامين وقيل النجم هو الذى لاساق له من النبات والشجر هو الذى له ساق ولبعضه ثمر يقتات وسجودهما هو الانقياد لله رب العالمين فيما يريدهما طبعا كانقياد الساجد من المكلفين طوعا أوانهما يسجدان لمبدئهما ومبدعهما سجود

دلالة على إثبات صانعهما

وحكى ابن كثير فى تفسير هذه الآيه خلافا تحق بمضمونه الدرايه فقال قال ابن جرير العالم النحرير الشهير اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم بعد اتفاقهم على أن المراد من الشجر ماقام على ساقه بلا وهم فروى عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والسدى وسفيان الثورى لاغير أن النجم عند هؤلاء الثقات ماانبسط على وجه الارض من النبات وقال مجاهد والحسن وقتادة عالم الزمن النجم هو الذى فى السماء الانور وهذا القول هو الاظهر فالنجم فى عالم السماء والشجر فى مقام النماء يسجدان لله الواحد القهار وكل شئ عنده بمقدار قال الله تعالى فى كتابه المكنون المنزه عن الشك والالتباس (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِى السَّموات وَمَنْ فِى الأَرْضِ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ والجِبَالُ والشَّجَرُ والدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)

وجاء فى تفسير النسفى أن النجم هو النبت ليس له ساق كالذى عليه الجسم ارتفع وهو كما قيل مأخوذ من نجم اذا طلع والشجر هو ماله ساق يشاهد بالابصار وهو مشتق من مادة الاشتجار الذى هو تداخل بعض الاشجار فى بعض ومناسبة طولها للعرض ويسجدان أى لله يخضعان ويشهدان على أنفسهما أنهما له سبحانه مسخران وأنهما يدلان على وحدانيته ويعترفان بربوبيته ولو أتينا على جميع ماذكره المفسرون من الاقوال

الاقوال وما دونوه فى كتبهم مما طرأ على هذه الآية من اختلاف الاحوال لخرجنا عن الموضوع الذى عليه المعول واليه الرجوع فلما ختم الدرس عند غروب الشمس أقبل علىّ بطلاقه بعدما اشد نطاقه وقال لى لعلك أيها الاديب فى هذه الاوطان غريب فقلت له إى وأبيك ياعلامه انى من جبال تهامه فقال لى أنت ضيفى مادمت فى هذه البلاد ولك علىّ المنة ياسليل قوم أمجاد فأجبته الى ماطلب وكان ذلك فى أول رجب وتوجهت معه الى دار وسيعه ذات حديقة نضيرة بديعه فعطف بى على قاعة مزخرفة بانواع النقش مفروشة بأحسن فرش ثم أجلسنى على الفور فى الصدر وقال لى أنت فى هذه الدار لك النهى والامر

مسكننا هذا لمن حله * نحن سواء فيه والطارق
فمن أتانا فيه فليحتكم * فانه فى حكمه صادق
لايجد الفاقة من زارنا * فربنا المانع والرازق

وبعد ساعة من الجلوس حضرت مائدة عليها أطعمة تميل اليها النفوس وفى أثناء الطعام كان يحيينى بما فوق المرام ويقول ياأثيل المجد ويا أصيل الأب والجد لقد سرنى منك ماأوليتنى به من الاجابه وحققت فيك ماهجس بخاطرى من الاصابه وكيف لاتكون علىّ لك المنة العظيمه وقد سعيت معى بذاتك الكريمه ولم تحتقرنى لسوادى مع عدم وقوفك

على حقيقة طارفى وتلادى فقلت له يامولاى ومالك رقى ومن أنا عبده ولا أبتغى منه عتق أنت صاحب المنة والفضل ولاريب فى انك كريم الاصل وانى على يقين أنك إن لم تكن من أبناء الامراء والصدور الفخام والوزراء فأنت المقصود بين الناس بقول عبد بنى الحسحاس

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون إنى أبيض الخلق

وايم الله انك لجدير بما نقل عن الخليفة المأمون الخطير مخاطبا لابراهيم بن المهدى عقب ضبطه فى حال الخروج عليه وتأمينه حين شق العصا ودعا بالخلافة اليه وكان قد عفا عنه وقبل أعذاره منه وشرع فى مداعبته بقوله له أنت الخليفة الاسود وأمير المؤمنين الهمام الامجد لكنه لما تفطن انه خامر قلبه من هذه المداعبة الفزع واستولى عليه الرعب والجزع قال فى الحال تسكينا لما نزل به وتأمينا

ليس يزرى السواد بالرجل الشـ * ـهم ولا بالفتى الاديب الاريب

ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

هنالك قام الشيخ واقفا وقال بعد ثنائى عليه واصفا أنت والله يابديع الشمائل على الحقيقة معدن الفضائل وأنت علم الاعلام وسيد علماء الاسلام وبحر المعارف المتلاطمة بالذكاء أمواجه وبر العوارف التى بهرت بالسخاء أفراده وازواجه وطود العلوم الراسخ وفضاؤها الذى لاتحصى له فراسخ

وجواد

وجواد الفهوم الذى لايتأتى لحاقه وبدر سمائها الذى لايدركه محاقه وأنت الرحلة التى تضرب اليها أكباد الابل والقبلة التى يصلى اليها كل مؤمن وعندها الى الله يبتهل وأنت علامة البشر ومجدد الدين على رأس القرن الثانى عشر ولعلك أنت الذى انتهت اليك فى الدنيا رياسة المذهب والمله وبك قامت قواطع البراهين والادله وجمعت بين الفنون فانعقد عليك الاجماع وتفردت بصنوف الفضل فسحرت النواظر والاسماع فما من فن الا ولك فيه القدح المعلى والمورد العذب المحلى ان قلت لم تدع قولا لقائل أوطلت لم يأت غيرك بطائل وما مثلك مع من تقدمك من الافاضل والاعيان الا كالامة المحمدية المتأخرة عن الملل والأديان فانها وان جاءت آخرا الا أنها فاقت مفاخرا . فقلت له يامن ليس لك فى عصرك شريك وصفتنى بجميع ماهو فيك لاسيما وانك ماحققت لى معرفه ولا وقفت لى على كنه صفه ولاسبرتنى فى معارف ولااختبرتنى فى تليد من العلوم ولاطارف فقال لى وهو باسم الثغر ضاحك منشرح الصدر انى بمجرد نطقك أخذتك بالفراسه وثبت عندى أنك أهل للرياسه وانى على ثقة من تقدمك على بنى العصر فى النظم الفائق ورائق النثر

فقلت ان أردت أن تسمع منى ماحفظته من نظم السيد عبد الله الوزير الذى لم يكن له فى زمانه من أخدانه نظير فهاك مانقلته

من خطه بنفسى في مراجعته للقاضى على بن محمد العنسى

حتام تعذل فى الهوى وتلوم * وإلام تطلب سلوتى وتروم

أتظن أسلو من حديث غرامه * يتلى على العشاق وهو قديم

وأنا الذى فى الحب يعقوب بما * لاقيت قاسى الحزن وهو كظيم

ومهجتى من قده غصن غدا * قلبى يصفق حوله ويحوم

قد دب عقرب صدغه حتى التوى * من فوق ذاك الخد وهو سليم

ولهان يلعب بالعقول وان مشى * لعبت بغصن القد منه نسيم

ويلاه من قدبه عدل وفى * شرع الهوى هو جائر وظلوم

ماجنة الفردوس الا وجهه * للعين فيه نضرة ونعيم

ملك لساحر طرفه خدم ولا * عجب فذاك الساحر المخدوم

أسفى على باهى المحيا همت فى * أوصافه واعتادنى التوهيم

ولنا على الذات أعظم حجة * خط العذار لانه مرسوم

مالى وبختى كلما انتظم اللقا * عرض العذول يميله ويلوم

أفنيت دهرى أرصد الافلاك فى اللقيا * وهل تدرى هواى نجوم

والبخت إن يصدق ظفرت بوصل من * أهوى ويكذب عنده التنجيم

ولربما فلك القضاء يدور با لا سعاد لى بالوصل ثم يدوم

ويدور لى من كف من أحببته * كاس بمسك رضا به مختوم

فقال لى لله درك من حافظ للسحر الحلال وملاحظ لبديع الدرر واللآلئ الغوال فهل تحفظ أبياتا غير هذه فى الغزل يضرب بها فى بابها المثل

فقلت

فقلت له يامولاى انى وان كنت لست من فرسان هذا الميدان ولا من رجال المعانى والبيان الا انى أتطفل على موائد هؤلاء الفضلاء الفحول وان كان تشبهى بهم ضربا من الفضول وأنشدك من درر ابن نباتة المصرى مابعقود الجمان يزرى

لاورشف اللمى ولثم الخدود * ماعذولى عليك غير حسود
هائم فى هواك مثلى ولكن * دفع الوهم عنه بالتفنيد
يامليحا طرفى به فى رياض * وفؤادى فى النار ذات الوقود
لاتسل عن مسيل دمعى بخدى * قتل الدمع صاحب الاخدود
حبذا فى حلاك لام عذار * وهى للحب آلة التوكيد
كل يوم تروع قلبا خليعا * يابديع الحلى بحسن جديد

فقال لى أنت فى زمانك أروى من حماد ودونك فى البلاغة عبد الرحيم الفاضل وابن العماد وأنت المشار اليه بالبنان بين أبناء هذا الزمان

فقلت له بأبى وأمى أفديك ياهمام اذ أنت فى عصرك نعم الامام وأنت أحق وأولى بما يقوله فيك أوحد النبلاء من واصفيك

ياسراج التقى وبدر المعالى * دم منيرا وهاديا للعباد

فقال لى أيها الاديب النبيه والأريب الكامل الوجيه أنت أولى بالمدح والثنا والكرامة والغنى

فقلت له ياسيدى إنى مقصر عن القيام بما يجب من الشكر الجزيل بين البرية لمقامك السامى الجليل وانى لأرجو أن

تأذن لى بالرحيل الى حج بيت الله وزيارة الخليل والسعى الى ضريح أفضل الانام والفوز من لثم أعتابه الرفيعة بالمرام فقال لى لولا أنها فريضة لما كنت أجيبك الى ماتروم ولاتركت الفراق يرمى من شهبه برجوم لكن انتظر هلال شعبان حتى تخرج مع قافلة العربان المتأهبة للسفر الى أم القرى والوقوف بعرفة والتبرك بأبى قبيس وحرى فلما انسلخ رجب وخرجت قافلة العرب جهزنى معها بكل ماأحتاج اليه وضمنى للوداع الى صدره والدموع تنحدر من عينيه وقال لى ناشدتك الله يا ابن الكرام الا ماجعلت الزيارة متواصلة فى كل عام فقلت له ياعالى الذرى وياأعلم الورى أنا ماأدع فرصة لدفع هذه الغصة ثم أخذ فى السير فى الحال مع العير وهو يقول مسليا لنفسه على ماأصابه من ألم النوى فى يومه بعد ذهاب أمسه

أيانفس لاتجزعى واصبرى * والافات النوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحالك ولاينصف
شجون منعن الجفون الكرى * وعوضنها أدمعا تنزف

ولما قطعنا المراحل العديدة بالتسيار واشتد بى من معاناة الفراق الاضرار وانحدر علينا عند مادهمنا الليل مطر من السماء كأنه السيل ومكث خمس ساعات يبعث الينا منه بآفات ثم انجلت الغياهب وظهرت الكواكب قلت متمثلا بهذه الاوزان التى رويتها فى زمن الشبيبة عن بعض الاخوان

مابال

مابال أنجم هـذا الليل حائرة * أضلت القصد أم ليست على فلك
عادت سواريه وقفا لا حراك بها * كأنها جثت صرعى بمعترك
ما تنقضى ساعة منه فتطمعنى * به ولا هو فى وجه بمنسلك
هل من بشير بنور الصبح ينقذنى * بشراه من طول وجد غير متركى
فقد أجد التواء الليل لى شجنا * وأضجعتنى تباريحى على الحسك

وعند مطلع الفجر خرج على القافلة فى عاشر الشهر حزب من قطاع الطريق كأنه نار الحريق وكنت قد تعلقت من عهد نشأتى بملاقاة الابطال وركوب الاخطار ومكابدة الاهوال فامتشقت فى يدى الحسام وتأهبت فى الحال للصدام وقلت جريا على عادة فرسان الحجاز لما انفصلت عن الصف للبراز

أنا الاسد الضرغام فى حومة الوغى * اذا نار نقع فى مهول الملاحم
وانى مبيد للاعادى جميعهم * بأسمر عسال وأبيض صارم
تفر كماة الجيش منى متى رأت * خيالى فى يوم اللقا والتصادم

ولما فرغت من شعرى دنوت من القوم وأقبلت عليهم بالتقريع واللوم وقلت لهم يا أبناء اللئام أتقطعون الطريق على حجاج بيت الله الحرام فلما سمعوا منى هذا الملام الذى هو أمضى من السهام اندفع علىّ منهم فارس لايقاومه رئبال وقال لى ويلك يا أخس الانذال كيف تجاريت على تقريعنا بهذا المقال مع علمك بان قطاع الطريق لايميزون بين الحرام والحلال فلا وأبيك ما أجبته إلا بنبلة فى نحره ساقته عاجلا الى

قبره وعطفت بعده على اصحابه الاشرار فى جماعة من فرسان
القافلة الاخيار فقتلنا منهم اثنى عشر فى أقل من لمح البصر
وهزم الله باقى الاشقياء بسيوف هؤلاء الاتقياء وقرأنا سورتى
الفتح والاحزاب وجمعنا بعد الاستراحة الاسلاب وركبنا متن
الطريق فوافينا مكة المشرفة بلاتعويق وأدينا الفريضة فى
وقتها وبلغنا الآمال ثم انصرف كل منا الى منزله واجتمع بالاهل
والعيال واستمرت بينى وبين الشيخ المراسله التى تقوم كما يقال
مقام المواصله مدة من السنين والشهور والايام لاتنقص عن
سبعة أشهر وعشرة أعوام وكانت آخر مراسلة وصلت منه
الىّ فى رمضان انه خارج للحج والزيارة فى شوّال مع خمسة عشر
من الطلبة وثلاث من النسوان فلما وقفت على هذه المكاتبه
واطلعت على هذه المخاطبه اتحدت مع عشرين من رجال
الحرب وكانوا من الابطال المعروفين بالطعن والضرب وخرجنا
فى العشرة الاخيرة من شهر الصيام لعلنا نحظى بمقابلته فى
البيداء ونحييه بالسلام فلما توسطنا المفازة بعد ماأخذنا من
الشريف الاجازة وقطعنا من المراحل بالتوان خمسا كوامل
فى أمان انقض علينا من جانبى الجبل مائة فارس من ورائهم
مائة ناقة وجمل وحملوا علينا كالاسود وصاحوا علينا بأصوات
كالرعود فلم نجد بدا من القتال وصدمناهم صدمة الوبال
وكان معنا فارس جسيم كامل العدة تحته جواد من العيوب
سليم

سليم فكر عليهم معناكرة الهاصر وسطا عليهم بحسامه الباتر
وأظهر لهم ماعنده من الشده وقتل منهم أربعة عشر وحده
ودارت عليهم فى آخر النهار دوائر الفناء والبوار ولما انجلت
الغمه عما بذله فارسنا من الهمه وانهزم الاعداء فى منتصف
شوال وتخلوا عن الجمال والاثقال أبصرت بين الاسارى شيخنا
الامام وهو مشرف من الوثاق على الحمام فوقعت على قدميه
وقبلت رأسه ويديه وقلت له نفسى لك الفدا من حوادث
الردى ماالذى أوقعك فى قبضة هؤلاء الاوغاد وصفدك من غير
رأفة بهذه الاصفاد فلما سمع صوتى خف عنه ما كان يجد من
الألم واستوى قاعدا وزال عنه السقم وقال أخبرنى أنت
ياأخى بالتفصيل كيف كان خلاصنا من هذا التنكيل
فقلت له ياأيها الصديق ومن هولى نعم الرفيق ان خلاصكم
كان على يد هؤلاء الأبطال الذين أغرقوا أعاديكم فى بحار
الاهوال وكان السبب فى لقائكم بهذا المكان أنى دعوت
هؤلاء الشجعان الى السعى معى خدمة لجنابك وتبركا بلثم
ركابك فقال لى جزيت عنى خيرا ولا لقيت مابقيت ضيرا
لقد فرجت عنى الكربه وأطلقتنى من قيود النكبه فانى لما
كتبت اليك أنى قادم عليك تأهبت لاداء الفريضة على عجل
وحملت عيالى على أربع نياق وجمل وقلت فى نفسى لعلى أظفر
بمقابلتك فى الكعبه وأتناول معك من ماء زمزم شربه ولما

خرجنا من البلد لم يكن معنا من أهله أحد بيد أنه تبعنا على الاثر من الطلبة الخمسة عشر وفى خلال سيرنا على مهل انحط علينا هؤلاء الفجار من الجبل فقتلوا من فرغ منه الاجل واستحسنوا قبيح العمل وكانوا مصرين على قتلى مع الجماعه لخوفهم فى البيداء من الظما والمجاعه فأوقعهم الله فيما أضمروه وحملتم اليهم من الموت كأسا فتجرعوه ثم نزلنا للراحة بذلك المكان القفر من ضحوة النهار الى وقت العصر ثم رحلنا بعد ماأدينا الصلاه ونال كل من الزاد مناه وبعد عشر ليال كامله وصلنا بالامان فى هيئة قافله الى الحرم المكى المعظم وكان ذلك فى آخر ذى القعدة المكرم فتوجهت مع الشيخ والاقارب الى دارى المجاورة لدار الشريف غالب وأقمنا بها بين الاهل والولد فى عيش رغد وقد نسى كل منا ما كان يترنم به فى السفر وهو من بديع درر عفيف الدين التلمسانى الاغر

أحن الى المنازل والربوع * وأنتم بين أحشاء الضلوع
وأضمر كتم أشواقى ووجدى * فتظهرها لجلاسى دموعى
ومن كلفى أعلل بالتمنى * وأطمع فى الخيال بلا هجوع
وأعترض النسيم أساوشوقا * وأسأل وامض البرق اللموع
أيا عرب الحجاز كذا أضعتم * نزيلا فى رحابكم الرفيع

فلما انقضت تلك الايام القصار ودخلت أوقات الحج والاعتمار انتظمنا فى سلك قصاد عرفه فى أحسن هيئة وأكمل صفه

ثم

ثم تحولنا من مكة الى المدينه لزيارة صاحب الوقار والسكينه
ووقف الشيخ على المقصورة النبويه وقال متمثلا بقول أبي شباك
أجل السادة الرفاعية المرضيه

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني فهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وبعد الفوز بلثم الاعتاب وأداء الواجبات في الروضة والمحراب
عدنا الى أم القرى في سرور ولذة سرمدية وحبور والناس
يقولون لنا في التحيه بألفاظ عذبة بهيه سعي مشكور وحج
مبرور وزيارة بالقبول محفوفه ومواقف في طاعة الله معروفه
وعزم الشيخ على انتجاع بلاده لاشتياقه الى تلامذته وأولاده
فالتمست منه الاقامة معي الى آخر المحرم فاجاب وتفضل علي
بذلك وتكرم وكنت وقفت على نسبته وعرفت حقيقة
حليته وثبت عندي أنه من نسل ابراهيم بن المهدي بن
المنصور وانه اكتسب سواده من أمه التي كانت في لونها كالديجور
فقلت متمثلا بين يديه بما يحسن إنشاده لديه

لقد طبت فرعا حيث طبت أرومة * نعم طيب حيث الاصول أطايب
فللورد ماء الورد فرع يزينه * وللبيت شبل الليث مثل يقارب
عشقت العلا طفلا ولم يك عاشقا * سواك وشبه الشيء للشيء جاذب
فأنت لها إبن وأنت لها أب * وأنت لها صنو وأنت أقارب
كذلك عشقت العلم والجود والتقى * وللناس فيما يعشقون مذاهب

ومذ استعدّ للذهاب حثّ الى وطنه الركاب فقطعت معه أربع مراحل للوداع والدمع من مقلتى هاطل وأرسلت فى صحبته من رجالى للحرس أحد عشر بطلا كل واحد منهم على فرس وقلت له ياصاحب الدرجة الرفيعه انى عاجز عن القيام بشكر ما بدأتنى به من الصنيعه فقال لى بعد بسط يديه بالدعاء الى رب السماء والارض أن يمد فى عمرك الى يوم العرض تالله ما أنت فى كل شئ الا فريد الزمان ووحيد العصر والاوان ولا غرابة فيما أقول حيث اتضح لى أنك من نسل بضعة الرسول ولاشك انكم أهل بيت استعار الورى منكم جميع الخلال الحميده والخصال الجمة الفريده التى لا يبلغ شأوكم فيها عظيم ولا يجاريكم فيها على طول المدى كريم

(المقالة الثانية عشر)

(فى التخلص من الخطب بالعقل والصارم العضب)

قال لى أبو الحزم انفرد أمير الجيوش أبو العزم عن رجاله والجنود عقب بروق ورعود لانتهاز الفرص فى الصيد والقنص فلاحت له على بعد نعامه كأنها لجسامتها وارتفاعها دعامه فاقتفى أثرها بلاحق لا يفوته فى مجاله سابق وجدّ فى طلبها ليسوقها الى عطبها وعند مادنا منها وهمّ بالقبض عليها سبقه ليث هاصر اليها وضربها باظافر كأنها الخناجر فقدّها نصفين

نصفين وشطرها شطرين فلما رأى ذلك أمير الجيوش صاحب الوجه البشوش عبس وبسر وزاغ منه البصر وجال على أبي الاشبال جولة الابطال وهو يترنم بقصيد للطائي أبي زبيد

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
اذا لرأيت ليثا رام ليثا * هزبرا أغلبا يغشى هزبرا
تبهنس اذ تقاعس عنه مهري * محاذرة فقلت عقرت مهرا
أنل قدمي ظهر الارض انى * وجدت الارض أثبت منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى نصالا * محددة ووجها مكفهرا
تدل بمخلب وبحد ناب * وباللحظات تحسبهن جمرا
وفي يمناي ماضي الحد أبقى * بمضربه قراع الخطب اثرا
ألم يبلغك مافعلت ظباه * بكاظمة غداة لقيت عمرا
وقلبي مثل قلبك لست أخشى * مصاولة ولست أخاف ذعرا
وأنت تروم للاشبال قوتا * ومطلبي لبنت العم مهرا
ففيم تروم مثلي أن يولى * ويترك في يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس ياليث غيري * طعاما ان لحمي كان مرا
فلما ظن أن الغش نصحي * وخالفني كأني قلت هجرا
مشى ومشيت من أسدين راما * مراما كان اذ طلباه وعرا
يكفكف غيلة احدى يديه * ويبسط للوثوب على أخرى
هززت له الحسام فخلت أني * شققت به لدى الظلماء فجرا

وجــدت له بطائشة رآها * لمن كـذبته مامنته قــدرا
بضربة فيصـل تركته شقعا * وكان كـأنه الجلمود وترا
تخـــر مضرجا بدم كأني * هــدمت به بناء مشمخرا
وقلت له يعــز عــلى أني * قتلت مناسبي جلدا وقهــرا
ولكن رمت شـــيأ لم يرمــه * ســواك فلم أطق بالبث صبرا
تحاول أن تعلمــنى فــرارا * لعمــر أبى لقد حاولت نكرا
فلا تبعد فقـــد لاقيت حرا * يحــاذر أن يعاب فمت حرا

ولما عاين أسد العرين استعداد هذا القرين حمل عليه وكشر وصاح وزمجر فاجابه بصوت يصدع الصخور ويقلع الرصين من القصور وضربه بالسيف فى جبهته فشقه الى صرته وأنشد بعد انجلاء الغبار وهو على مصرعه فى القفار

لقد علمت ليوث الغاب أنى * أهــدد كل جبار شجاع
وأمنــع جانبي وأذب عنه * وأروى بالدما كل البقاع
وانى فى اللقاء لهيب نار * وان الاسد تحرق من شعاعى
وسيفى صارم عضب صقيل * يداوى الرأس من ألم الصداع

وبعد انتقامه من هذا الغريم وانتظامه فى سمط الدارس الرميم التفت ذات اليمين وليس معه ناصر ولا معين فرأى غابة ملتفة الاشجار تجرى بالقــرب منها أنهار فانتجعها على جــواده الأدهم وهو صامت لا يتكلم وبمجرد دنوه منها خرج عليه من فجوه أربعــة أشبال ولبوه وهجمت دفعــة واحــدة عليه

ونوجهت

وتوجهت بأنيابها اليه فترك صهوة جواده بلا مهل واخترط حسامه من غمده على عجل وانحط على اللبوة القاتله فضربها ضربة هائله أطاح رأسها عن البدن وأخلى منها الربوع والدمن وسطا على أحد الاشبال واقتلعه من الارض ورمى به آخر فاختلط طولهما فى العرض وأطاح بسيفه القاطع رأسى الثالث والرابع ثم جرى على قدميه حتى أدرك ابن النعامه وتناول بيده اليسرى زمامه وقصد الاجم وهو يترنم باوزان مأثورة عن أبى الطمحان

وانى من القوم الذين هموهمو * اذا غاب منهم سيد ناب صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوهم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فلما انتهى اليها وأشرف عليها دخلها والجواد من خلفه لانه كان بمنزلة أنيسه وإلفه ثم خلع عنه سرجه واللجام وبلغه من الماء والمرعى المرام وأوى الى شجرة وارفة الظلال واضطجع تحتها من التعب على الرمال وكان الليل قد أقبل بسواده الحالك وعاق جيوشه عن استكشاف ماسلكه من المسالك فرجعوا بالخيبة الى الخيام وأبوا أن يمتعوا أجفانهم بما يتمتع به النيام وقال نائبه كأنه يخاطبه متمثلا بقول مسلم ابن الوليد فى ممدوحه الامير يزيد

ينال بالرفق ماتعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

يكسو السيوف دماء الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل
حذار من أسد ضرغامة بطل * لا يولغ السيف الا مهجة البطل
موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل
قد عوّد الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرتحل
تراه في الامن في درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
فالدهر تغبط أولاه أواخره * اذ لم يكن كان في أعصاره الاول
فعد سليما فما في الملك من وهن * اذا سلمت وما في الدين من خلل
ما كان جمع العدا لما لقيتهم * الا كرجل جراد ريع منجفل

هذا ما كان من أمر الجيوش والنائب وأما أميرهم القسورة أبو العزم الغائب فانه لما غرق في بحار الكرى بعد الظفر بأسد الشرى انقض عليه خمسة من اللصوص وأحاطوا به على الخصوص وأوثقوه بالكتاف وكادوا يطرحونه في مهاوى التلاف وكان قد استشعر بهذا الامر المنكر وهمّ بالوثبة عليهم بالسلاح فلم يجد له سبيلا الى الكفاح لانهم مالوا عليه قبل أن يثور من رقدته واستحوذوا على لأمته وعدّته وقال له كبيرهم أيها الرجل المغرور ماساقك الى هذا المكان غير المعمور الا أمر يفضي بنفسك الى هلاكك وحاولك برمسك فقلت له وقد أظهرت البشاشة بعد العبوس كيف تقتلون من زالت عنه بسعودكم النحوس على أني أعلم انكم لو وقفتم على حقيقتي وعرفتم ما أنا عليه اسلكتم طريقتي ولا تخذتموني

لكم

لكم من الاصحاب ولا ترموني بالود على جميع الاحباب فقالوا له وما هي حقيقتك يا لطيف الشباب وما هي طريقتك التي اتباعها عين الصواب فقال أما حقيقتي فاني لص محتال صاحب إقدام على الاهوال وأما طريقتي فهي اختلاس الارواح والاموال ونهب أثاث القصور في غالب الاحوال وعندي سر لو عرفتموه لانتفعتم به في كل ملمة ولنجوتم به من الغوائل في كل ليلة مدلهمة فقالوا له وما هذا السر أيها الساحر وهل تعلمته من الاوائل أو من الاواخر فقال لهم إنه لا يسوغ لانسان أن يتفوه به وهو في حالة الذل والامتهان فان أردتم الفوز بمعرفته والوقوف على كنه صفته فأطلقوا مني السراح وردوا على الجواد والسلاح ثم اسمعوا مني ما تتلونه في الشدة عني وكانوا من غير الاشراف الذين هم سكان الاطراف وكانوا لا يميزون بين الحق والباطل ولا يفرقون بين الصحيح والعاطل ولا يتوهمون أن أحدا من الرجال يخدع عند الضرورة بزخارف المحال فصدقوني فيما أتيتهم به من الاختلاق ومنوا على بالاطلاق من الوثاق وتقدم أحدهم الى وناولني سيفي الصقيل وقرب مني الجواد الادهم الاصيل فركبته وخرجت من الغابه بوقار وسكينة ومهابه وتبعوني طمعا في معرفة السر الذي هو على حسب وهمهم ضرب من السحر هنالك امتشقت الحسام وقلت لهم ارجعوا من حيث أتيتم يا بني اللئام فهذه حيلة ابتدعتها وخديعة اخترعتها

لأتخلص بها من ورطة الارتباك وأنجو من حبائل الهلاك والآن ليس لكم عندي سوى قطع الرقاب وترك جيفكم لغذاء الوحوش والكلاب فان أردتم لانفسكم السلامه فاذهبوا قبل أن تحل بكم الندامه والافابرزوا جملة واحده حتى أهدم من أجسامكم الاساس والقاعده فلما تحققوا مقالى وعرفوا سؤالى حملوا علىّ بالسيوف وعوّلوا على تجريعى كاس الحتوف فصدمتهم صدمة تهد راسيات الجبال وقتلت منهم فى أقل من لمح البصر ثلاثة رجال وكان النائب قد نشر البنود ونادى بالرحيل فى الجنود لعله يقص الاثر أو يقع على خبر فلما انتصف النهار نزل للراحة فى القفار وأرسل الجواسيس والعيون ليكشفوا الطرق والمناهل والعيون فغابوا ساعة من الزمان ثم عادوا وأنا معهم على ظهر الحصان متمثلا فى الاول بقول السموأل

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها إن الكرام قليل
وماقل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلى وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع للوفاء طويل
وإنا أناس لانرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن ما في نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول عما قال الكرام فعول
وما خمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهمو * فليس سواء عالم وجهول
فأنا بني الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

ولما دنوت من العسكر ورآني من الجنود كل قسور هرعوا الي وسلموا بالاشتياق علي وسألني النائب المهاب عن هذا الغياب فقصصت عليه ماوقع لي مع اللصوص والاسود وكيف استعملت الحيلة في الانفكاك من القيود فسجد شكرا لله على سلامتي بعد أن أثنى على صرامتي وتخلصي من الخطب بالعقل والصارم العضب

(المقالة الثالثة عشرة)

(في التخلص من الاخطار وبلوغ الاوطار)

ركب أبو الفخار سفينة بخار وتوسط اللجه وعرض للاهوال

المهجه حيث شغف بالملاحه في فصل لا يحمد المسافر رياحه فلما جرت السفينه وتوارت عن المدينه خرجت عليها أهوية مختلفة من جهات غير مؤتلفة واندفعت عليها الامواج فحرفتها عن الاستقامة الى الاعوجاج هنالك أزعج الراكب والملاح وأنجم اللسان عن الافصاح واشتغل الكهل بنفسه عن الاهل وهطلت الامطار وزمجر الرعد في جميع الأقطار وتبدل الامن بالخوف ويبست الامعاء في الجوف واستولى على الرئيس الفرق لما أيقن بالغرق وبينما هو يكابد من الحيرة مالا مزيد عليه ويتعجب مما آل أمر سفينته اليه اذ سمع قائلا يقول وهو من ذوى العقول ايتهم يطوون الشراع المنشور ويقطعون الصارى الاخير المكسور عسى أن يكون وراء هذا الخطب فرج يزول به الكرب وكان الرئيس منه غير بعيد فانشرح صدره بهذا الرأى السديد وأشار الى بالاجراء على عجل فقوبل بالامتثال على مهل وكان في ذلك النجاة من العواصف التي يعجز عن وصفها الواصف لان السفينة كانت قريبة من ساحل جزيرة فطرحتها الامواج عليها في برهة يسيره وبمجرد وصولها الى البر سكن الريح وركد البحر ولما غاب الليل بغيهبه وآب النهار بكوكبه انتقل أبو الفخار صاحب الحسب والنسب في حلبة من أخدانه أبناء الادب الى هذه الجزيره الواسعة الخصبة النضيره وجال فيها حتى انتهى مع الجماعه الى مدينة ملك جدير بالاطاعه

يعرف

يعرف بنور الدين العادل الموصوف بقول القائل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما أحسن المحراب في المحراب

وكان هذا الملك عارفا بالفقه على مذهب أبي حنيفه عاكفا بكليته على الجهاد ونصرة الخليفه متولعا بسماع الحديث معرضا عن كل شين وخبيث مجتنبا للاجحاف مقبلا على الانصاف منتهيا عن المحرم من المشارب والمآكل والملابس التي يتبهرج بها الجاهل واقفا عند أوامر الشرع ونواهيه آمرا بذلك رعيته وحاشيته وذويه فلما تمثل القادمون بين يديه وعرضوا بلا توان عليه سألهم عن الحال ومن أين الاقبال فبادر أبو الفخار الى لثم راحته الشريفه وترنم في مدحه بأشعار ابن القيسراني المنيفه

لك الله إن حاربت فالنصر والفتح * وان شئت صلحا عد من حزبك الصلح

وهل أنت الا السيف في كل حالة * فطورا له حد وطورا له صفح

سقيت الردينيات حتى رددتها * ترنح من سكر فخل القنا تصحو

وما كان كف العز الا اشارة * الى الحزم لو لم يغضب السيف والرمح

وقد علم الاعداء مذ بت جانحا * الى السلم ما تنوي بذاك وما تنحو

اذا ما ديار ملكتك عنانها * تيقن من في غيرها انه الذبح

متى التف نقع الجحفلين على الهدى * فلا مهمه يحوي الضلال ولا سفح

اذا سار نور الدين في الجيش غازيا * فقولوا لليل الافك قد طلع الصبح

تركت قلوب الشرك تشكو جراحها * فلا زالت الشكوى ولا اندمل الجرح

صبرت فكان الصبر خير امغبة * فسيق اليك الملك يسعى به النجح

كأن القنا تجلو له وجه أمره * ولو أمهلت بلقيس ماغرها الصرح
بدولتك الغراء أصبح ضدها * بهيما ولولا الحسن ماعرف القبح
وكم من قريح القلب لوبات واردا * موارد هذا العدل مامسه قرح
سخا بك هذا الدهر جودا على الورى * على أنه مازال فى طبعه شح
وقد كان يمحو رسم كل فضيلة * ونحن نراه اليوم يثبت مايمحو
بك ابتهج الالباب وانتهج الحجا * وأثمرت الآداب وأطرد المدح
ولاذت بك التقوى وعاذ بك العلا * ودانت لك الدنيا وعز بك السرح
فلا قلب الا قد تملكته هوى * ولا صدر الا قد جلاه لك النصح
وما الجود فى الاملاك الا تجارة * فمن فاته حمد الورى فاته الربح
ولم أختصر ماقلت الا لانى * أعبر عما لا يقوم به الشرح

ثم قال بعد الانشاد انا يارفيع العماد قد خرجنا على الجزيرة من البحر بعد ما يئسنا من النجاة وعدمنا الصبر حيث هاجت علينا الرياح من المساء الى الصباح وكادت السفينة تغوص الى القاع لولا قطع الصارى وطى الشراع وهذه هى حالنا ولا ندرى ماذا يكون ارتحالنا فأما الاقبال من مدينة مجهولة الاسم بعيدة عن العمران منهوكة الجسم كانت فى صدر الاسلام منشورة الاعلام وبتمادى الأيام والشهور والاعوام تغيرت مبانيها البديعه وتهدمت معابدها وأبراجها المنيعه وضاقت على العلماء ففارقوها وفروا فرار الورق من أقفاصها متى أطلقوها فقال له ماذا كان المراد من السفر فى فصل الرياح العاصفة والمطر وعلام عولت الآن مع هؤلاء الاخدان فقال أما

السفر

السفر فكان بصدد بيت الله الحرام وزيارة رسول الله سيد
الأنام ولولا اختلاف الرياح لفزنا فى هذا العام بالنجاح
وأما الذى عولت عليه وركنت بعد التخلص من المهالك اليه
فهو التفويض للحضرة الملوكيه التى فاض سحاب نوالها على
البريه فيما يستصوب لدى دولته العليه وتتعلق به ارادته
السنيه فقال الملك أما أيام الحج فقد تصرمت منها الحبال
ودخلت فى حجاب الزوال وكتب لك الثواب ونجوت من
العذاب فان أردت الاقامه فلك ولاصحابك الكرامه وإن
أبيت الا الرحيل الى وطنك أيها النبيل بعثنا بك اليه مع
أول سفينه تقوم من هذه المدينه فقال أيها الملك المطاع
المبجل والخاقان الشجاع المفضل أما أنا فلا براح لى عن
خدمة الركاب وأما أصحابى فانهم يؤثرون على الاقامة الذهاب
فلما وعى منه مابه أجاب قربه من سدته وقيده فى سجل
الحساب وأرسل من كانوا معه من الاخوان الى وطنهم بعد
ماغمرهم بالاحسان وكان للملك عدة أولاد كلهم من الشجعان
الامجاد فتمثلوا فيهم عند الوداع بقول الشاعر الحسن الابتداع

اذا وضعوا تيجانهم فضراغم * وإن نزعوها عنهم فبدور
على أنهم يوم النزال قساور * ولكنهم يوم النوال بحور

وبعد رحيل القوم بعشرة أيام ونصف يوم تجهز الملك لقمع
الخوارج وجرد عليهم الجنود والبوارج وصحبه فى غزوته أبو

الفخار وكان فى الحرب ثقيل العيار لانه ربى من عهد نشأته على ظهور الجياد وعرف بين كماة الفرسان بطويل النجاد وهذا فضلا عن سبقه فى مضمار الادب واحراز مالا يتأتى لغيره ادراك شأوه فيه من الرتب فلما التقى الجمعان ولعبت الاسنة فى الطعان انحط على الغريم كالسيل وطرح الابطال من فوق متون الخيل وفتك هذا الباسل الغريب بكل فارس نجيب وشوش الصفوف وقطع الكفوف وجدع الانوف وأطاح القحوف وفى أثناء ما كان يصول وعلى الاعداء يجول وقع بزعيم الخوارج الغادر فصاح به صيحة الأسد الخادر وصدمه صدمة هائله وطعنه فى صدره طعنة واصله فلم تمنعها دروعه التى بها اعتصم بل أودت به الى العدم ثم جال على مصرعه وقال هلموا الى الحرب ياعصبة الضلال فانقض عليه من العصاة ألوف وعطفوا عليه من كل مكان بالسيوف وقبل أن تصل اليه نجده وتنكشف عنه غمة الشده عقروا جواده وملكوا قياده وكان الملك فوق ربوة مشرفة على المعمعه فلما شاهد بعينه فى نزيله ماروعه عيل منه عليه الصبر وسارع فى الحال الى النصر وأمر الجيش بالحمله وكان أول حامل فى الجمله وأدرك هذا الفارس الاوحد وهو بالقيود والاغلال مصفد فخلصه من الاخطار وبلغه الاوطار ولم يعهد عنه أنه فارق مخدومه فى سفر ولا افترق عن ملازمته فى حضر وقد أثرى

وازداد

وازداد يساره وصفا عيشه وارتفع مناره واستنهض اليه عائلته من بلده وقرت عينه بأهله وولده وفى هذا أدل دليل على شجاعته وبسالته وبراعته وأما سبقه فى الآداب وامتيازه على كثير من ذوى الالباب فهو أمر شهد به كل يعروف بالفضائل فى عصره موصوف ومن ضمن مانقل عنه من كتاب لبعض قرابته الانجاب

سيدى مالى أراك عنى فى إعراض ومالك عني غير راض وما الباعث لك على الضن بالمراسله التى قامت الادلة على أنها نصف المواصله أظننت أن الثروة غيرت أخلاقى وأخمدت منى لأحبابى نيران أشواقى هيهات هيهات أن أتزحزح فى المودة عن الثبات أو أغفل عن التمثل بقول حاتم الذى ضربت به الامثال فى السخاء والمكارم

شربنا بكأس الفقر يوما وبالغنى * وما منهما الا سقانا به الدهر

فما زادنا بغيا على ذى قرابة * غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

معاذ الله أنسى الرفاق وأتحول الى الخلاف عن الوفاق فكن جاريا على العادة فى كتب الوداد وانشر بطريفها مطوى التلاد متعنى المولى بلقائك ومن كل سوء وقاك ولازال أبو الفخار الشهير مقربا من سدة مخدومه الخطير حتى لقى ربه الكريم وفاز برحمة الرحمن الرحيم ونظم فى سلك ذوى السياده وختم له بالسعاده

يقول المتوسل بجاه النبي المصطفى عبد مولاه محمود ابن الشيخ مصطفى خادم التصحيح بدار الطباعة العامره الزاهية الزاهره ببولاق مصر القاهره

قد تم بقوة الله وحوله طبع هذه المقالات الأدبية التي هي من انشاء الفاضل المرحوم السيد صالح مجدى بك وفيها من الحكم والمواعظ والفوائد الجمة ما يجمل للآن النفع به وقد امتازت بحسن أسلوبها ورقة الفاظها وبديع معانيها وسهولة عباراتها ومن عرف شخص المؤلف وفضله رحمه الله لا يستغرب الانشاء الحسن الذي كتب به هذه المقالات الأدبيه وكذلك من يطلع على شيء من مؤلفاته وتراجمه رحمه الله يجدها كلها عالية الاسلوب بالغة المعنى فصيحة العبارة وقد اجتهد ولده حضرة محمد بك مجدى القاضي بمحكمة استئناف مصر في جمع كثير من مؤلفات المرحوم والده وابتدأ بطبع ديوانه رحمه الله واتبعه بهذا الكتاب وهو آخذ في طبع كل ما ينبغي له نشره شيأ فشيأ احياء لذكر المرحوم والده وخدمة للعلم الذي هو من أفضل نعم الله على الانسان ❁ وذلك في ظل الحضرة الفخيمة الخديويه وعهد الطلعة العباسيه مشمولا بنظر من عليه بجميل أخلاقه يثنى حضرة وكيل المطبعة سعادة محمد بك حسنى في منتصف

أول الجماديين سنة ١٣١٦ من هجرة سيد

الكونين صلى الله وسلم عليه

مالاح بدر تمام وفاح

مسك ختام

(بيان الخطأ والصواب الواقع فى هذا الكتاب)

صحيفة	سطر	خطـــأ	صـــواب
٦	١٠	تنقص	لاتنقص
١٣	٧	سريعا منك	من ذاتك
١٨	١٦	من	مع
١٨	١٧	الروح	الراح
٢١	٣	نائب هذا	نائبه فى هذا
٢١	٩	لابد	لامحيص
٢٥	١	وسنة وستة	وستة
٢٨	٣	نصنع فى	نصنع الآن فى
١٨	١٩	مالهما	حالهما
٣٠	١٦	فقير	رفيع
٣٠	١٥	حقا	حظا
٣٢	١	الغيظ	القيظ
٣٢	١	تحت	تحت بعض
٣٦	١٥	وهى	وهو
٣٧	١٦	ذاكره	ذاك
٣٧	١٧	مخاطبة	مخالطة أحد
٤١	٧	سيده	سادته
٤١	١٠	تأتى	تأتى بهذا
٤١	١٥	الأيام	الأنام
٤٢	١٣	تراخيت	تراخت
٤٢	٢٠	اليها	بها
٤٣	١٦	مركبا	موكبا
٤٦	٢	ولد	وليد
٤٦	٣	القراءة	القراءة منه
٤٦	٢٠	قيس	قس

(تابع الخطأ والصواب)

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤٧	١٣	يحبب	يحبب
٤٨	٥	أودية	في أودية
٤٨	١٠	الاماوصل	الى ماوصل
٤٩	١٦	مالضرورة	لالضرورة
٥٠	٧	من فصص	عن غصص
٥٣	١٧	اليهما	اليها
٥٤	١٨	وفى	وهوفى
٥٥	١٢	لى	له
٥٨	١٣	وقد	وكأنّ به قد
٥٩	١٣	كالرعد	هائلة كالرعد
٦٠	٥	وشحنه هائل	وشقه سائل
٦٢	٤	فى كيت	بكيت
٦٣	١	العناء	العناد
٦٤	٣	يقول	يقال
٦٧	١٤	ربحه	رحبه
٦٨	٤	واحد	واحدا
٧٠	٤	كأن هذا	كأن لك هذا
٧٠	١٦	وقال أجرنى	وقال له أجرنى
٧١	٧	واستناب	واستتاب
٧١	١٥	شيمة	سيمة
٧٢	١٢	ثم تقفل	قفل
٧٤	١٥	ووعده	واثنى على أخلاقه ووعده
٧٥	١٥	الباعث على	الباعث لك على
٧٨	١٥	حملاتى	حملانى

فهرست المقالات الأدبيه للمرحوم السيد صالح مجدى بك

